مجلة شهرية

نـــور يسوع المسيح ابن الله المسيح
ΦΩΣ ΧΡΙΣΤΟΥ

Issue No: 52 :عدد
December 2011 كانون أوّل

جمعية نور المسيح ، رقم: ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠
Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

دخول سيّدتنا والدة الإله إلى الهيكل

صفاء السماء

شَعَرَ طيّار وهو يقود الطائرة عقب إقلاعها بصوت داخل ماكينات الطائرة ، وتبين أن مصدر الصوت هو وجود (فأر) داخل محرّكات الطائرة ، تسلّل إليها وهي على أرض المطار قبل الإقلاع.

وامتلأ قلب قائد الطائرة خوفاً على سلامة الركاب من عبث (الفأر) بالمحركات. ولكنّه سرعان ما تذكّر أن (الفأر) من فصيلة القوارض التي لا تستطيع أن تعيش في الأجواء العالية.

لذلك بدأ الطيّار يرتفع بالطائرة حتى بلغ إرتفاعاً شاهقاً. فتوقف صوت (الفأر) لأنّه مات. وواصل الطيّار رحلته بسلام.

إنّ هموم الحياة هي **فصيلة القوارض** التي لا تعيش حيث يرتفع الأنسان روحيّاً سابحاً في السماويات في صفاء ونقاء ناظراً إلى رئيس الإيمان ومكمله الرب يسوع.

إنّ هذا النوع من القوارض لا يتنفّس في جو عامر بالإيمان والصلاة والعمق الروحي في عمق الصلة باللّه. لقد خُلق الإنسان على برّ وقداسة وصفاء ،ولكن بعد سقوط الإنسان أصابه التلوّث.

فنسمع عن زوج تشاجر مع زوجته وتملكه رغبة في الإنتقام، فاستحضر دماً ملوّثاً بميكروب (الإيدز) طاعون العصر ، وحقن زوجته به دون أن تعرف أنّ الحقنة ملوّثة. إنّه إنسان العصر؛ إنّ الرجل الذي يلوّث دم زوجته بميكروب قاتل هو بالتأكيد رجل ملوّث العقل وملوث العاطفة وملوث القلب وملوث الضمير.

وعندما خلق اللّه البيئة خلقها على صفاء ونقاء وحتى المخلوقات تتحوّل إلى سماد طبيعي، والحشرات الصغيرة لها دوراً في تنقية البيئة.

لقد أبدع اللّه في عمل الكون وسنّ قوانين الطبيعة. ولكن الإنسان العاقل وهو يتسابق في كسر قوانين الطبيعة ، إرتكب الكثير من الجرائم في حقّ الكون ، وفي حقّ ذاته. فلوّث البيئة وأصبح عليه أن يعيش في عالم ملوث ويستنشق هواء ملوثاً ويشرب ماء ملوثاً ويأكل أطعمة ملوثة.

وأصبح الإنسان يعيش في سجن كبير ملوث لا يستطيع أن يخرج منه وفي ذات الوقت من الصعب تطهيره. يبدو وأن الإنسان فقد الزمام. أو أنّه ينتحر.

ومن العجيب جداً أن الإنسان الذي ينظّف جسمه ويعتني به. نجده في نفس الوقت يلوّث جسمه من الداخل. يلوث جسمه بالتدخين ويدمر صدره ورئتيه. فهو ينظّف جسمه من الخارج ويلوثه من الداخل. يعتني به في الظاهر ويقتله في الخفاء.

وفي كثير من الأحيان يسمح الإنسان للأفكار الملوثة أن تدخل عقله. وفوق كل ذلك أصبح قلب الإنسان **ملوثاً ومليئاً بالوحشية والضراوة**. فأي قلب إنساني هذا الذي يسفك دماء البشر؟

إن دماء البشر في كل بقاع الأرض ، تشهد **أن الإنسان يحمل في عصرنا هذا أنياب وقلب وحشي كاسر**. لقد لوّث الإنسان قلبه بالتمرّد على اللّه والإبتعاد عنه والإستهتار بندائه ودعوته.

لقد أعطاك اللّه عقلاً مميّزاً لكي يرشدك إلى طريق الحياة. وأعطاك اللّه قلباً صافياً لكي يجعلك تشتاق به إلى السماء.

فإذا كانت الأرض قد **تلوّثت**. فالسماء ستظل دائماً صافية طاهرة مقدسة.

فاضمن طريقك إلى السماء

يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم**:

«آه !... إلى متى سنظلّ مقيّدين وملتصقين بالأرض ؟ إلى متى سنستمر في الوحل مثل الديدان».

إن حياتنا على الأرض ما هي إلاّ إعداد للحياة في السماء. هكذا فَهِمَ كل العقلاء ، وكل الحكماء معنى الحياة. وبدونَ هذا الفهم تُصبح الحياة الدنيا مهزلة لجنسنا البشري وعبثاً لا طائل تحته ولا غنى فيه.

يا رب: ساعدني لأرتّب أوراقي ..
ساعدني لأعرف طريقي ..
لكي أسلّمك أيامي وحياتي. يا رب.

محتويات العدد

2 صفاء السماء

3 كلمة غبطة البطريرك كيريوس كيريوس ثيوفيلس الثالث

4 من عجائب القديس جوارجيوس

5 رحمة الله - للذهبيّ الفم

6 الخطيئة الجديّة

8 رموز العذراء

9 تفسير القدّاس الإلهيّ

10 الملائكة والشياطين

12 إستقلال التجسد الإلهي

16 الله يعمل للخير

18 القديسة بربارة

21 العمل - للقديس باسيليوس

22 فضيلة الإحتمال

23 العهد القديم . (٣٦)

توزع هذه المجلة مجاناً

جمعية نور المسيح : كفركنا - الشارع الرئيسي (الحي الجنوبي) ص.ب. ٦١٩ تلفاكس ٠٤/٦٥١٧٥٩١

تقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال - الناصرة
حساب رقم : 12-726-111122

e-mail: light_christ@yahoo.com

ترتيب وتحضير : هشام ميخائيل خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم
كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث
بمناسبة عيد القديس جاورجيوس في مدينة اللد ٢٠١١/١١/١٦

وقال الرب لتلاميذه: «ومتى جاء المعزّي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب، روح الحق ، الذي من عند الآب ينبثق. فهو يشهد لي، وتشهدون أنتم أيضاً لأنّكم معي من الإبتداء». (يو١٥:٢٦-٢٧).

«وقد كلّمتكم بهذا لكي لا تعثروا. سيخرجونكم من المجامع ، بل تأتي ساعةٌ فيها يظن كل من يقتلكم أنّه يقدّم خدمة للّه» (يو١٦:١-٢).

أيّها الأخوة الأحباء بالرب
أيها المسيحيّون الورعون .

إنّ القديس جوارجيوس العظيم في الشهداء ، قد جمعنا اليوم بهذا المزار المكرّم حيث رفاته مُسَجّاة بوقار ، في باحة هذه الكنيسة التي تحمل إسمه المغبوط ، وفي مدينته العريقة والأصيلة ، مدينة اللد.

إحتشدنا اليوم لنكرّم تذكار القديس جوارجيوس ، فهذا التكريم الحاصل في هذا اليوم المبارك يوضحه لنا بأجلى بيان **القديس يوحنا الذهبيّ الفم** فيقول: «إنّ موت الشهداء هو تعزية للمؤمنين ، وبابٌ للمجاهرة في الكنائس ، إتحاد المسيحيّة ، تحطيمٌ للموت ، تأكيدٌ القيامة ، سخرية للشياطين ، إتّهام لإبليس ، تعليم الفلسفة ... وجذور لجميع الصالحات».

أيّها الأحباء ، إن موت الشهادة المليء بمحبة المسيح هو فعلاً إتحاد المسيحيّة ، وتحطيم موت الخطيئة ، وتأكيد القيامة. ذلك لأنّ المسيحيّة كونها كنيسة المسيح قائمة ومرتكزة على دم مخلصنا يسوع المسيح الذي سُفكَ على عود الصليب ، هذا الدم المحيي قد حطّم وللأبد الموتَ الدخيلَ إلى العالم من خلال خطيئة ومعصية آدم الأوّل القديم.

بكلام آخر ، إن موت المسيح آدم الجديد، قد أنهى موت الخطيئة ، والدليلُ لهذا الأمر هو قيامة الربّ يسوع المسيح من بين الأموات؛ أما دليلُ قيامة المسيح فهو موت المسيح الإستشهادي بإراقة دمائه الزكيّة والمحيية من أجل خلاص البشرية .

القديس يوحنا الذهبي الفم يوضح المعنى في موت شهداء محبّة المسيح فيقول: « هذا ليس موتاً ، لكنّه بداية لحياة أفضل ... لا تُمعن النظر ملياً متأمّلاً في الشهيد الملقى أمامك فاقد النسمة ، ساكناً ، عُرياناً من طاقة الروح ، لكن إنتبه إنّ في هذا الجسد تقطن قوّة أعظم بكثير ، ألا وهي نعمة الروح القدس ... التي منها تتم العجائب والمعجزات».

هلمّ لنرى ما يقوله مرنّم الكنيسة بخصوص القديس جوارجيوس المظفّر: «لقد إقتديت بآلامك بالمسيح في آلامه المحيية يا جوارجيوس المجاهد الظافر المجيد ، فاتخذت عنه صُنع العجائب. فإنّك تخلّص الذين يلتجئون إليك وتنقذهم من شدائد كثيرة ، بما لك من الدالة وحُسن القبول عند المسيح. وأنت الآن ماثلٌ لديه ممتلئاً من المجد».

تكرّم كنيستنا وبشكل خاص قديسيها الشهداء ، لأنّهم أراقوا دمائهم الطاهرة لأجل الحق، هذا الحق هو المسيح: «أنا هو الطريق والحق والحياة» (يو١٤:٦). بالنسبة للمسيح الحقّ، الشهيد ، الكارز ، والمبشّر ما هي إلاّ مؤسّسة الكنيسة ، هذه المؤسّسة يضبطها ويحافظ عليها الروح القدس روح المسيح روح الحقّ الذي من الآب ينبثق.

الدم المسفوك لأجل المسيح الحقّ ، هو دم الشهداء المسفوك للمحبة الخلاصيّة للمسيح ، هذا الدم دم الشهداء ثبّتَ تعاليم الرسل القديسين في كل مواقع المسكونة. رسول الأمم العظيم بولس يوصي تلميذه تيموثاوس قائلاً: «أذكر يسوع المسيح المُقام من الأموات ، من نسل داود بحسب إنجيلي ، الذي فيه إحتمل المشقات حتى القيود كمذنب. لكن كلمة اللّه لا تُقيّد. لأجل ذلك أنا أصبر على كلّ شيء لأجل المختارين ، لكي يحصلوا هم أيضاً على الخلاص الذي في المسيح يسوع من مجدٍ أبدي» (٢تيمو٢:٨-١٠).

القديس جوارجيوس قد أعلن مسيحيّته وأعلن عن سرّ العبادة القويم أمام الإمبراطور ذوكليتيانوس ومجلس الشيوخ في مدينة روما قائلاً: أنا مسيحي وجاهر بأنّ المسيح هو اللّه وإبن اللّه ،كما يذكر سنكسار القديس، لهذا إستشهد لأجل الخلاص بالمسيح يسوع أمام الإمبراطور ومجلس الشيوخ .

لقد أظهر القديس العظيم والشهيد جوارجيوس ليس فقط الشهادة لمحبة المسيح ، لكن الشهادة لأعمال محبّة المسيح أيضاً ، فأصبح صانعاً للعجائب العظام ، كما يقول مرنّم الكنيسة : «بما أنّك للمأسورين محرّر ومعتق ، للفقراء والمساكين عاضدٌ وناصرٌ ، للمرضى طبيب وشاف ، عن الملوك محاميٌ ومحاربٌ ، أيّها العظيم في الشهداء جاورجيوس اللابس الظفر تشفّع إلى المسيح الإله في خلاص نفوسنا».

إنّ جنسية الشهيد العظيم جوارجيوس اللابس الظفر (من جهة أبيه من كباذوكيا في آسيا الصغرى ومن جهة أمّه في مدينة اللد في فلسطين)، قد أظهر محبّته للمسيح كما ذكرنا سالفاً ، ذلك لأنّه كان راسخاً ومقتدياً في إيمانه القويم من خلال أسلافه وأجداده ، بالأقوال والأعمال ، وبالآلام أيضاً كما آلام الربّ يسوع المسيح . ذلك لأنّ القديس أصبح مقتدياً بآلام المسيح الطوعيّة.

بكلام آخر القديس جوارجيوس قد نَزَعَ ثوب ولباس آدم القديم وارتدى لباسَ آدم الجديد ،تاركاً ورافضاً خلجات بشريّته ، لهذا فالقديس الذي نكرّمه اليوم بتذكار نقل رفاته إلى هذا المكان المميّز في مدينة اللد ، وخاصة في هذه الكنيسة التي تحمل إسمه ، قد تعرّبَنَ ملكوت السموات.

ونقول (المحبّة بالمسيح) لأنّه كما يكرز **القديس يوحنا الذهبيّ الفم**: «لا توجد أيّة مساواة مع المحبّة ، حتى الإستشهاد الذي هو رأس جميع الصالحات ، ليس بأعظم منها».

أيّها الأخوة الأحباء

إذ نريد أن نظهَرَ مستحقين لتكريم القديسين وخاصّة القديس جوارجيوس ، علينا بضبط ذواتنا، ،وإضرام نار الشوق الإلهي فينا ، مقتدين به وبأعماله ، بعمل الفضائل والصالحات التي تنبع من محبّة المسيح. وكما يذكر الآباء القديسن: «إستشهاد القديسين لا يكتمل فقط من خلال الآلام الإستشهاديّة ، لكن من خلال كلمة النعمة. لأنّ كلّ كارز للحقيقة هو شهيدٌ للّه».

إنّ القديس جوارجيوس يدعونا لأن نكون شهداء المحبّة للمسيح ، محبّة الحقيقة الخلاصيّة بالمسيح ، فبتضرعاته المقبولة والمستجابة ، وبشفاعات والدة الإله الدائمة البتوليّة مريم أيها الرب يسوع المسيح أهّلنا لملكوتك السماوي آمين .

الداعي بالرب
البطريرك ثيوفيلس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

من عجائب القديس جوارجيوس المظفّر

نقل رسم القديس جوارجيوس من دير فانويل الى دير زوغرافو في الجبل المقدس (آثوس)

أيقونة القديس جوارجيوس ودير زوغرافو في جبل آثوس

خلال حكم الملك لاوندس الحكيم (886–912م) , كان هناك ثلاثة اخوة بالجسد (موسى، آرون، باسيليوس) من بلدة (إخريذا) هؤلاء الإخوة قرّروا ان يعيشوا حياة رهبانية فانطلقوا الى **الجبل المقدس** مكان وجود **دير زوغرافو** الحالي. وبعد حياة روحية جهادية عجيبة وصبر، ذاع صيتهم وفضيلتهم فبدأ العديد من المؤمنين يلجأون اليهم. وقرّروا بناء دير كبير وكنيسة تتسع لجميع الرهبان. بعد الانتهاء من البناء إختلفوا فيما بينهم إلى أي قديس سوف تسمى هذه الكنيسة، فقال بعضٌ منهم القديس (نيقولاوس) والبعض القديس (كليمندوس) رئيس كهنة (إخريذا) وبسبب تعدّد الآراء وعدم الاتفاق بينهم قرّروا أن يصلوا إلى الله حتى يظهر لهم القديس الذي يريده أن يكون شفيعا للكنيسة على الخشبة الفارغة.

واثناء صلاتهم في الليل **أنير ضوء** في الكنيسة بصورة مفاجئة، فخاف الرهبان وكلهم بقدر خوفهم بقوا يصلّون في الليل، وفي الصباح ذهبوا الى الكنيسة ليروا ما حدث، فشاهدوا في مكان الخشبة الفارغة رسمة ايقونة القديس جاورجيوس اللابس الظفر، ولهذا الحدث سمي الدير (زوغرافو) او القديس جاورجيوس. وهذه الايقونة كانت مرسومة في **دير فانوئيل** في سوريا, وكما يقول رئيس الدير الأب افستراتيوس: ذات مرة شاءت إرادة الله ان يعاقب المسيحيين في سوريا وفلسطين، ففي **دير فانوئيل** بينما كان الرهبان يقومون بالخدمة في الهيكل إختفت فجأة رسمة إيقونة القديس جاورجيوس عن الخشبة التي كانت مرسومة عليها فبدأ الرهبان يصلون إلى الله، لأن يظهر لهم مكان إختفاء الأيقونة ، فسمع الله صلاتهم, فظهر **القديس جاورجيوس** الى رئيس الدير وقال له: «وقع غضب الرب على المسيحيين في تلك المنطقة،كونهم لم يعملوا مشيئة الله فمنهم من سوف يُسلب او يقتل، فوجدت مكانا لي في الجبل المقدس،واذا أردتم إذهبوا انتم الى هناك»، فجمع رئيس الدير الرهبان وقص لهم ما حدث، وهكذا بدأ الرهبان بالذهاب من **اللد** الى **الجبل المقدس** بعد سجودهم الى **قبر القديس جاورجيوس** .

رحمة الله الظاهرة للبشر في تجسد إبن الله

للقدّيس يوحنا الذهبي الفم

يقول القديس بولس الرسول: «لأنّه هو سلامنا جعل الإثنين واحداً ونقض في جسده حائط السياج الحاجز أي العداوة» (افسس٢: ١٤).

الحق! إن المتجسّد من العذراء نقض حائط السياج الحاجز، وصار الإثنان واحداً. تبدّد الظلام وأشرق النور وغدا العبيد أحراراً والأعداء بنين. زالت العداوة القديمة وساد السلام المرغوب من الملائكة والصدّيقين منذ القديم، لأن الأمر المدهش قد تمّ، وهو أنّ ابن الله صار إنساناً، فتبعته الأشياء كلّها، المخلص يضع ذاته ليرفعنا، ولد بالجسد لتولد أنت بالروح.

سمح للعبد أن يكون له أباً، ليكون السيد أباً لك أيها العبد. فلنفرح ونبتهج كلنا. لأن البطريرك «إبراهيم قد ابتهج ليرى فرأى وفرح» (يوحنا٨: ٥٦) فكم بالحري نحن الذين رأينا الرب في الأقمطة! لذلك، يجب علينا أن نسرّ ونبتهج بعظمة إحسانه.إنه لأمر يستحق الانذهال. لقد ساد السلام لا لمبادرتنا إلى الرب نحن الذين أخطأنا إليه وكدّرناه، بل لأن الساخط علينا نفسه قد شفق علينا. «فأسألكم من قِبَل المسيح أن تتصالحوا مع الله» (كورنثوس الثانية٥: ٢٠) إذ خلق العلي بنعمته وحدها الإنسان وأعطاه على الأرض أجمل مكان ليعيش فيه، ووهبه وحده العقل بين المخلوقات كلها، وسمح له برؤيته تعالى، والتلذذ بالحديث معه، ووعده بالخلود، وملأه بالنعم الروحية حتى أن الإنسان الأول تنبأ ؛ ولكنه بعد هذه الخيرات كلها رأى العدو أجدر بالإيمان ممن وهبه جميع ما ذُكر، فاحتقر وصية الخالق وفضل من كان يعمل على هلاكه بكل الوسائط. ومع ذلك فما أباد الله الارض كما تقتضي العدالة، لما أظهر الإنسان من العقوق وعدم معرفة الجميل. بل صار يُعنَى به أكثر من الأول، لأن الخطر إشتدّ كثيراً بعد استسلام جنسنا للإثم، وتعرضه للهلاك. ولكن الآب السماوي اهتم للخاطئ وحدّثه كصديق مبيناً له خطر الهلاك المحدق به، ثم أعطاه الشريعة كمساعد له، وأرسل الأنبياء لتعلمه ما يجب عليه أن يفعل. «ثم أرسل له وريثه نفسه – أي ابنه – مولوداً من امرأة تحت الناموس ليفتدي الذين تحت الناموس لننال التبني» (غلاطية٤: ٤–٥) لذلك نرى نبي الله متعجباً من حكمة الضابط الكل وصارخاً : «هذا هو إلهنا قد تراءى على الأرض وتردد بين البشر» (باروك٣: ٣٨) إبن حقيقي لآب أزلي لا يعبّر عنه ولا يُدرك، إجتاز أحشاء بتولية، وتنازل ان يُولَد من عذراء، ولم يكفّ عن العمل والشروع بالأشياء حتى جاء بنا نحن الأعداء إلى الله، وصيّرنا أصدقاء له، فكان كمن يقف بين إثنين متقابلين باسطاً ذراعيه لهما ليوحدهما معاً. هكذا فعل إبن الله موحداً الطبيعة الإلهية مع البشرية، أي خاصته مع خاصتنا. هذه وفرة نعمة الرب. إن الذي غضب يسعى للسلام قاهراً المغتصب. قد يخلع الملك تاجه أحياناً ويلبس حلة جندي بسيطة حتى لا يعرفه أحد من أعدائه. أما السيد المسيح فقد جاء لابساً حلتنا حتى يُعرف، ولا يدع العدو يفرّ هارباً قبل القتال، ويدعو أتباعه إلى الاضطراب، إن غاية ابن الله هي **الخلاص** لا **الإرهاب**.

ربما تقول: لماذا لم تكمل هذه المصالحة بواسطة أحد الأرواح غير المتجسدة أو أحد البشر، بل بواسطة كلمة الله؟ فالجواب لأنه لو حصلنا على الخلاص بواسطة أحد الصديقين لما علمنا مقدار عظم إهتمام السيّد بنا، ولما أصبح موضوعاً للإعجاب مدى الأجيال. فانه ليس بالأمر المدهش الفريد لو دخل مخلوق في الإتحاد مع مخلوق آخر؛ وبالتالي، لما قَدر الإنسان أن يعمل عملاً إلهياً. وسرعان ما يسقط الأرضي، كما عَمل اليهود، إذ حوّلوا خلاصهم المعطى لهم بواسطة موسى إلى شرور أشدّ من التي تحمّلوها في أرض مصر، وكادوا يؤلهون موسى بعد موته. إنهم أرادوا أن ينادوا به إلهاً، وهم يعلمون أنهم معه من طبيعة واحدة.

وأخيراً لو أرسل ملاكاً أو بشراً لاجل إنقاذنا من السقوط لما حصلنا على الخلاص ولا قدرنا أن نقترب من الذي حصلنا عليه الآن. ولو أن قوام خلاصنا حصل من طبيعة ملائكية أو بشرية فكيف يُعطى لنا أن نجلس عن يمين الآب السماوي ونصير أعلى من الملائكة ورؤساء الملائكة، ونستحق ذلك الشرف الذي تتمنى القوات العلوية الدخول في مجده.

ولو حرم الجنس البشري من هذا النصيب المغبوط ألا يظهر عدونا القديم كبرياء أعظم من الاولى ويفكر بتهييج السماء ذاتها؟ فمن أجل هذه الأسباب وغيرها أخذ ابن الله الطبيعة البشرية وكمّل خلاص الجنس البشري كله.

وعليه إذا تصورنا عظمة تنازل الله فلنُعط السيّد الشرف الواجب، لأننا لا نقدر أن نكافئه إلا بخلاص نفوسنا، وبالاهتمام بالقريب. وليس من عيد أفضل من اهتمام المسيحي الحقيقي بالقريب، والاجتهاد بخلاصه. لأنّ المسيح لم يُرض ذاته بل الكثيرين. هكذا يقول رسول المسيح: «غير طالب ما يوافقني بل ما يوافق الكثيرين لكي يخلصوا » (كورنثوس الاولى١٠: ٣٣).

الخطيّة الجديّة - حسب آباء الكنيسة

طردَ آدم من الفردوس كنتيجة طبيعيّة لخطيئته وعصيانه للّه ؛ لكن اللّه ولعظيم محبّته طأطأ السموات وانحدر ليعيد آدم الساقط إلى منزلته الأولى ، فمات المسيح ليعيد آدم وحواء ونسليهما من الموت الأبدي إلى الحياة الخالدة.

قيامة المسيح المجيدة عربون قيامتنا العتيدة

عندما نتحدّث عن الموت والخطيئة الجديّة، فإننا لا نعني أن الموت أتى في البداية كشيء موروث في الطبيعة البشرية ثم تبعته الخطيئة الجديّة. ولكننا نعني أن الموت ارتبط ارتباطاً وثيقاً بخطيئة آدم كنتيجة لها. وبالتالي، الموت لم يكن في البداية أمراً طبيعياً للإنسان، ولكنه دخل إلى الطبيعة البشرية وبالتالي يعمل كما لو كان متطفلاً.

يظهر هذا الأمر متكرراً في الكتاب المقدس. فالله لم يصنع الموت الذي دخل إلى العالم بواسطة خطيئة آدم. أوَد هنا أن أذكر نصّين كتابيّين: النصّ الأول هو من العهد القديم ويقول: «إذ ليس الموت من صنع الله ولا هلاك الأحياء يسره. لأنه إنما خلق الجميع للبقاء فمواليد العالم إنما كونت معافاة وليس فيها سم مهلك ولا ولاية للجحيم على الأرض لأن البر خالد» (سفر حكمة ١:١٣-١٥). من المستحيل أن ينبعث الشرّ من الله طالما أن الله خير. ولهذا عندما خلق الله الإنسان لم يخلقه لكي يموت. وكما نرى في التقليد الآبائي، خلق الله الإنسان بإمكانية أن يصبح مائتاً أو غير مائت.

النص الثاني هو من رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية: «... كأنما بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم وبالخطيئة الموت وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس... لكن قد ملك الموت من آدم إلى موسى» (رو٥:١٢-١٤). يُرى الموت في هذا النص على أنه دخيل ومتطفل على الطبيعة البشرية، ونتيجة وثمرة لخطيئة آدم. يتعلّق الأمر إذاً بالموت الذي دخل إلى الطبيعة البشرية.

الخطيئة التي تولد منها الموت هي سقوط آدم في فردوس النعيم. عندما أمر الله الإنسان الأول ألا يأكل من الثمرة المحرمة أعلمه في نفس الوقت: «لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت» (تك٢: ١٧). وبعد هذه الخطيئة، دخل الموت إلى الطبيعة البشرية، أولاً الموت الروحي الذي هو إنفصال الإنسان عن الله، ثم الموت الجسدي الذي هو إنفصال النفس عن الجسد. لقد مات آدم روحياً في اليوم الذي أخطأ فيه، ولاحقاً مات جسدياً.

بالرغم من موقف الكتاب المقدس من الموت ومن مشاركة الآباء القديسين في هذه الرؤية، إلا أن **علم اللاهوت الغربي** يرى الأمور بطريقة مختلفة إذ ينظر إلى الموت على أنه طريقة من الله لعقاب الإنسان بسبب خطيئته، ويرى ميراث الموت في كل الجنس البشري كميراث للذنب. لقد دحض **الأب جون رومانيدس** هذه الآراء الخاطئة التي **لعلم اللاهوت الغربي** في دراسة أصيلة ومهمة، كما قدم تعليم الآباء القديسين عن هذه الأمور.

يتبع لاهوتيو الغرب **إفتراضات أوغسطينوس** فيَرون الموت كنتيجة لقرار الله بأنّ الإنسان مذنب وأنّه يجب معاقبة الجنس البشري على الخطيئة التي ارتكبها آدم. ويرى بعض البروتستانت الموت على أنه حقيقة بسيطة، ولكن تقودهم مثل هذه المفاهيم لاستنتاج أن الله هو علة الموت. كما توجد نظرية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بهذا المفهوم مفادها أنّ الشيطان هو أداة الله في تنفيذ قراره بمعاقبة الجنس البشري. هذه المفاهيم والآراء تجعل اللاهوت الغربي عاجزاً عن شرح الغرض من تجسّد المسيح، الذي هو كسر قوة الشيطان والموت، وبالتالي يعجز هذا اللاهوت عن تفسير هدف الأسرار وكلّ الحياة الكنسية.

في تعليم الآباء، ليس الموت عقاباً من الله ولكنه ثمرة ونتيجة لخطيئة آدم. يُستعمل تعبير «**موت**» ليعني عزلة الإنسان وانفصاله عن الله الذي هو الحياة الحقيقية. وبالتالي فإن أيّ شخص يبتعد عن الحياة أي عن الله فإنه يموت. ويؤكد **القديس غريغوريوس بالاماس** هذا الكلام: «إن أول من عانى هذا الموت هو إبليس الذي ابتعد عن الله بسبب عصيانه. لقد نقل الشيطان المائت الموت إلى الإنسان أيضاً، لأن الإنسان استمع لنصيحته وعصى الله وفقد نعمته».

ويؤكّد **القديس مكسيموس المعترف** أننا عندما نتكلّم عن الموت فإننا نعني بصورة رئيسية الانفصال عن الله. ولأنّ هذا الانفصال يحدث من خلال الخطيئة ، فالخطيئة هي إذاً مركز الموت. ولأن الإنسان لم يطع وصية الله، ولأنه ابتعد عن الله «كان من الضروري أن يتبع ذلك موت الجسد».

يؤكد **القديس يوحنا الدمشقي** على أن أصل كل الناس هو من الله، ولكن الفساد ونتيجته أي الموت، يأتي من الشرّ البشري: «لقد أتى الموت مع عقوبات أخرى من خلال الإنسان، أي من خلال تعدي آدم».

خلقة الإنسان هي إذاً عمل قوة الله الخالقة، واستمرار حياتنا هو عمل قواه المانحة للتماسك. والموت هو نتيجة اختيارنا الخاص ونتيجة الشر، وهو ليس عقوبة وفعل من الله، فالموت دخل إلى العالم «**مثل حيوان مفترس متوحش لكي يدمر حياة الإنسان**». هذا تشبيه يعبِّر بصورة حية عن الحقيقة بجملتها. في الواقع، يشبه الموت حيواناً متوحشاً غير مروَّض يتلف ويدمر حياة الناس، ونحن جميعاً نتذوق بحق وحشية الموت عندما يموت أحباؤنا.

وبالطبع عندما نقول أن آدم مات فإننا لا نعني أن الطبيعة البشرية قد دُمرت تدميراً تاماً. ولكن إختبار الموت الروحي أولاً ومن بعده الموت الجسدي لم يؤدِّ إلى عدم الوجود. لقد إنفصل الإنسان عن الله، واهتز بهذه النتائج ولكن دون أن يُدَمَر كلياً. وكما يخبرنا **القديس مكاريوس المصري** بطريقة مميزة: «ومع ذلك نحن لا نقول أنه ضاع تماماً وأُبيد من الوجود ومات. لقد مات بمقدار ما اختلت علاقته بالله، ولكنه لا يزال يعيش في طبيعته». بعد سقوط آدم، ألبسه الله من خلال محبته وشفقته، أقمصة من جلد التي نرى في **تعليم الآباء** أنّها **الفساد والموت** الذي دخل جسد الإنسان بعد خطيئته. ويتكون الفساد من الأمراض، والضعفات، وصعوبات الحياة الإنسانية، وكيفية الحبل به، والحمل به في الرحم، وولادته، وأخيراً مسيرته نحو الموت. وفي الواقع تكون حياة الإنسان بجملتها سلسلة من ميتات متتالية، أي أنها موت بطيء.

إذاً، من الواضح في تعليم الآباء أن سبب الموت ليس الله بل الخطيئة التي ارتكبها الإنسان الأول في الفردوس بحرية إختياره، وأن الله سمح بدخول الموت إلى الطبيعة البشرية بسبب محبته للبشر. فهو، بعد السقوط، لم يسمح بموت الجسد بل أن يعيش «**مانحاً له طريقاً للتوبة**» وإمكانية تحقيق حياة روحية. وبالتالي أصبحت كل الآلام المرتبطة بالفساد والموت فرصاً للاشتياق للحياة العليا ولتحقيق الشركة مع الله.

وبحسب **القديس باسيليوس الكبير**، سمح الله بالموت لكي لا يبقى الإنسان إلى الأبد في موت حي. وقد بلورت الكنيسة هذه الرؤية في صلاة الحلّ في خدمة الجناز، حيث يرد أن الله في محبته لجنس البشر، ولكي لا يصبح الشر أبدياً خالداً، سمح لرباط النفس والجسد غير القابل للكسر أن ينحل بإرادته، أي أنه سمح للموت أن يحدث.

إلى هذا يوجد إختلاف بين **اللاهوت الغربي واللاهوت الشرقي** حول مسألة ميراث الموت. فالغرب يرى أنّ توريث الموت هو توريث الذنب؛ كما لو كان كل شخص قد أخطأ في شخص آدم وبالتالي يكون كل واحد هو المتسبب في موته الخاص. أمّا الآباء القديسون فيرون أنّ الأمر لا يتعلق بالذنب ولكن بنتيجة خطيئة آدم أي الفساد والموت. فبسبب ضعف الطبيعة البشرية المسبب من خطيئة آدم صار كل إنسان، كونه جزءاً لا يتجزأ من هذه الطبيعة، عاجزاً عن الهرب من الفساد. إلى هذا، يوجد رباط لا ينحلّ بين

أتيت لتكون لهم حياة وتكون أفضل

الخطايا والأهواء من جهة، والفساد والموت من جهة أخرى. وبالتالي، الموت ليس نتيجة للخطية وحَسْب بل هو ايضاً سبب لها. فالفساد والموت اللذين نرثهما هما خلف تكوين العديد من الأهواء كالتهاون، البخل، محبة المجد الباطل؛ ما يعني أن الموت هو سبب وقوعنا في العديد من الخطايا. بحسب هذه الافتراضات يمكن الكلام عن انتقال الموت وليس انتقال الذنب وحَسب كما يرى **لاهوت الغرب**.

شدّد **أوغسطينوس** على أننا نرث كلّ خطيئة آدم، بينما تقليد الآباء يوضح أننا نرث نتائج الخطيئة التي هي الفساد والموت والتي تنتقل في الجسد. **فالقديس يوحنا ذهبي الفم** يرى أن التوريث البيولوجي للفساد الذي دخل إلى الطبيعة البشرية لنسل آدم مبرراً: «وهو إذ صار فاسداً، هكذا أيضاً صار الأولاد الذين أنجبهم». أمّا **القديس كيرللس الإسكندري** فيقول الأمر نفسه: «بعد السقوط في ذلك (الموت) أنجبا أطفالاً. ولكونهم ثمرة آتية من فساد، فإنهم أُجبِروا فاسدين». فبحسب القديس يوحنا ذهبي الفم نحن نعمّد الأطفال «بالرغم من كونهم بلا خطيئة»، لكي يُضاف «التقديس، والبر، والتبني، والميراث، والعضوية في المسيح، والصيرورة كمسكن للروح».

الهدف من تجسّد المسيح كان تدمير الموت والخطيئة وهزيمة الشيطان. فالمسيح إتخذ جسداً مائتاً وضعيفاً لكي يهزم الموت بصلبه وقيامته، وبهذا أعطى الإنسان أن يغلبه في حياته الشخصية بعد أن يتحد به. ويتحقق هذا الاتّحاد من خلال أسرار الكنيسة التي لا تحرّر الإنسان مما يسمى الشعور النفسي بالذنب، ولا هي تستعطف الله عن خطية آدم، ولكنها تهزم الموت. فالإنسان يصبح عضواً في جسد المسيح القائم بالمعمودية، وفي تناوله جسد المسيح ودمه يأخذ **دواء عدم الموت**. فالنفس لا تتحد بالله وحدها، بل الجسد أيضاً يشعر بالتغيير الداخلي وبتحول النفس. ويظهر هذا بوضوح في رفات قديسي الكنيسة.

أمّا بقاء الموت بعد المعمودية والمناولة المقدسة فهي عميقة المعنى إذ، كما يشرح **القديس مكسيموس المعترف**، ما حدث في حياة المسيح يحدث هنا أيضاً. ففي ولادة المسيح التي هي بلا خطيئة بقي فساد جسده لكي بآلامه المخلّصة يهزم الموت. وهكذا، تبقى طبيعة الشخص المعمد قابلة للهلاك بعد المعمودية ليس كعقاب لطبيعته الخاطئة بل كوسيلة لإدانة الخطيئة والقضاء عليها. بالمعمودية يصير الإنسان بإرادته قادراً على محاربة الخطيئة المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بهلاك وموت جسده. وعليه، خلاص الإنسان هو عملية إلهية وتعاون بشري.

كل ما سبق ذكره يرد بوضوح في رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية «فإني أُسَر بناموس الله بحسب الإنسان الباطن ولكني أرى ناموساً آخر في أعضائي يحارب ناموس ذهني ويسبيني إلى ناموس الخطيئة الكائن في أعضائي. ويحي أنا الإنسان الشقي من ينقذني من جسد هذا الموت. أشكر الله بيسوع المسيح ربنا» (رو٧:٢٢-٢٤).

إنّ دراسة إطار هذا الكلام يقود إلى أن الرسول يشير إلى زمن الناموس أي عندما كان يحاول أن يتحرّر بنفسه من ناموس الخطيئة من خلال ناموس الله دون أن ينجح من دون **قوة المسيح المتجسد**. من هنا يظهر أنّ الخلاص ليس بطاعة الناموس بل بالاشتراك في قيامة المسيح في حياتنا الشخصية. من الواضح في النص أن الإنسان الباطني يخدم ناموس الله ويُسرّ به أي أنه يقتني الصلاة الداخلية والاستنارة النوسية ما يوصله إلى تذكر الله الدائم. ولكن بينما يُسَر الإنسان الباطني بناموس الله فإنه يشعر بناموس الخطيئة في أعضائه. فناموس الخطيئة هو الفساد والموت. من هنا أنّ الأمراض والضيقات وعملية الموت تمنح أهواء النفس على التعبير عن نفسها على عكس الطبيعة وتعطي الشيطان فرصة لشنّ الحرب على الإنسان. هذا ما يتحمّله القديسون. وعليه قول الرسول «ويحي أنا الإنسان الشقي من ينقذني من جسد هذا الموت» يعبّر عن معاناة كل أناس العهد القديم الأبرار الذين وجدوا أنفسهم تحت سلطان الموت عاجزين عن التحرر بواسطة الناموس.

لكن كون التحرّر أتى بتجسد المسيح وآلامه وقيامته، التي يختبرها الإنسان في جسد المسيح الكنيسة، ما يجعله محتاجاً إلى تقديم الشكر القلبي لله، يقول الرسول: «لأن ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد أعتقني من ناموس الخطيئة والموت» (رو٨:٢). فالمسيح أنجز ما عجز الناموس عن فعله بإدانته الخطيئة والموت في جسده (رو٨:٣) وبالتالي صار الإنسان ودُعي «**روحانياً**».

ختاماً، الله لم يخلق الموت، أي أنّه لم يخلق الإنسان ككيان مائت. الموت دخل إلى الطبيعة البشرية بعد خطيئة آدم كي لا يبقى **الشرّ خالداً وأبدياً**. الموت يُورَّث بسبب ضعف الطبيعة البشرية وليس كذنب الإنسان وكعقاب الله. وقد منح الله الإنسانَ بتجسد إبنه إمكانية القضاء على الموت، الروحي أولاً باتّحاد الإنسان بجسد المسيح القائم بواسطة الأسرار، ثم بالتحرّر من الموت الجسدي أيضاً.

الرموز التي وردت في العهد القديم عن السيّدة العذراء- جبل دانيال (١٢)

«أجاب دانيال قدّام الملك وقال .. أنت أيها الملك كنت تنظر وإذا بتمثال عظيم. هذا التمثال العظيم البهي جداً أقبالتك ومنظره هائل. رأس هذا التمثال من ذهب جيّد. صدره وذراعاه من فضّة ؛ بطنه وفخذاه من نحاس ؛ ساقاه من حديد ؛ قدماه بعضهما من حديد والبعض من خزف .. كنت تنظر إلى أن قُطع حجر بغير يدين فضرب التمثال على قدميه اللتين من حديد وخزف فسحقهما .. فانسحق الحديد والخزف والنحاس والفضّة والذهب معاً ، وصارت كعصافة البيدر في الصيف فحملتها الريح فلم يوجد لها مكان. أما الحجر الذي ضرب التمثال صار جبلاً كبيراً وملأ الأرض كلها» (دانيال ٢:٢٧،٣١-٣٦).

أنت الكرمة الحقيقيّة التي أنبتت ثمر الحياة

أنا الكرمة الحقيقيّة وأبي الحارث

فسَّرَ دانيال الحلم للملك ، كما أبلغه بالحلم ذاته بإرشاد الروح القدس الساكنة فيه ، وفي تفسيره للحلم عرّف الملك أنّ التمثال المصنوع من الذهب والفضة والنحاس والحديد والخزف هو إشارة إلى الممالك التي ستأتي متعاقبة مع الزمن والإنقسامات التي ستحدث فيها. أما عن الحجر الذي رآه الملك وقد قُطعَ بغير يدين فضَرَب التمثال وسحقه وصار كعاصفة البيدر في الصيف فحملتها الريح فلم يوجد لها مكان. أما الحجر الذي ضرَب التمثال فقد صار جبلاً كبيراً. وملأ الأرض كلّها. فهذا إشارة إلى السيّد المسيح (الصخرة) الذي سحق كلّ الممالك الوثنيّة وأسّس له ملكوتاً أبديّاً لن ينقرض أبداً إلى كافة جهات الأرض (دانيال ٢:٤٥-٤٥).

جبل دانيال رمز وإشارة إلى:

العذراء مريم والسيّد المسيح .. فإذا كانت العذراء هي الجبل فالمسيح قُطعَ منها بغير يد إنسان أي مباضعة وذلك لكي يحطّم ويسحق الممالك الوثنيّة .. وفعلاً تمّ ذلك إذ حطّم المسيح كل الممالك الوثنيّة والعبادات القديمة المنحرفة وصمدت مملكته القويّة وستصمد عبر الزمن لتدوم إلى الأبد.

في خدمة مديح السيّدة العذراء:

«نحن الذين تأيّدنا بقوّتك ، نهتف إليك بإيمان ونقول: إفرحي يا مدينة ملك الكلّ، التي عنها قيلت المسبّحات المستوجبة السماع بإيضاح. إفرحي أيّتها **الجبل غير المنقطع**. إفرحي يا عمقاً لا قرار له أصلاً». (الأوذيّة الخامسة ، المجد للآب والإبن والروح القدس).

من أقوال الآباء القديسين:

«أنت هو الجبل الذي شهد عنه دانيال الذي قُطع فيه حجر بغير يد إنسانَ والذي هو الحجر الكريم الذي تجسّد منك بغير زرع رجل ، وصار جبلاً عظيماً ، وملأ المسكونة، الذي هو كرامة لاهوته المالىء كلّ البرايا ..»

تفسير القدّاس الإلهي

الأب المتوحّد غريغوريوس (الجبل المقدّس - جبل آثوس)
تعريب الشمّاس سلوان موسي - دير سيّدة البلمند البطريركي

تتمة من العدد السابق

بخوف اللّه وإيمان ومحبّة

التوبة ، الإعتراف ، الصلاة، الصوم، كلّها تشكّل تهيئة روحيّة للإشتراك في المناولة الإلهيّة. خوف اللّه ، الإيمان والمحبّة تؤلّف كيفيّة تقدّمنا إلى المناولة ، وتبلور حالتنا النفسيّة والجسديّة أمام السيّد المسيح الذي يدعونا إلى العشاء. يقول الذهبيّ الفم: «عندما تكونوا مزمعين أن تتقدّموا نحو هذه المائدة الإلهيّة الرهيبة ، نحو هذه الميستاغوجيا الشريفة ، تقدّموا بخوف ورعدة ، بضمير طاهر ، بصوم وصلاة ، دون أن تحدثوا جلبة ، دون أن تُسمع أصوات أقدامكم ، دون أن يدفع الواحد الآخر. لأنّ هذه الفوضى هي أكبر دليل على إستخفافنا بالأسرار المقدّسة وعدم إكتراثنا. لماذا أنت في عَجَلة ؟ هل تضغطك الحاجة لتنهي أشغالك؟ أو لربما يعبر في خاطرك في تلك الساعة فكر أنّ لديك أعمال ؟ لربّما لديك شعور أنّك على الأرض؟ أو تعتقد أنّك مع بَشر ؟ ».

بالإضافة إلى الهدوء والترتيب أثناء المناولة الإلهيّة ، هناك ضرورة الإستعداد لها قبل ذلك. كما يكتب **البّار نيقولاس كاباسيلاس** «فإنّ اللّه ، ولو أنّه يهبنا كلّ الأسرار المقدّسة مجاناً ، ونحن لا نقدّم له مُسبقاً أي شيء ، إلاّ أنّه يتطلّب منّا أن نغدو لائقين ومستعدّين لتقبّل هباته والحفاظ عليها. لا يتمّ التقديس والبَرَكة إن لم نتصرّف على هذا النحو ... وهذا يظهره لنا جلياً مثل الزارع ، فهو يقول: خرج الزارع ، ليس ليحرث الأرض بل ليزرع . بهذا القول يدلّ على أن الحراثة وكلّ الإستعداد الواجب يقعان على عاتقنا نحن». الإستعداد هو أن ننمّي في داخلنا مخافة اللّه والإيمان والمحبّة. ويقول **القديس إسحق السرياني**: «مخافة اللّه بدء الفضيلة. ويقال إنّ المخافة تتولّد من الإيمان ، وتُزرع في القلب عند إنقطاع الذهن من التشتّت بالعالم». لن يخشى الإنسان بعد أيّ شيء آخر سوى السقوط من علوّ المحبّة. لذا ، إذ نتناول «**المحبّة**» ، نطلب إلى الربّ: «أيّدنا جميعاً في خوفك». نطلب المخافة التي تعمّر نفوس الكاملين في الفضيلة: «هذا هو الذي أحرزته المحبّة الحقيقيّة ، التي يقول القديس (يوحنا الإنجيلي) إنها كاملة ، وهذه المحبّة تقوده إلى المخافة الكاملة. مثل هذا يخشى مشيئة اللّه ويحفظها ، ليس بعد لأجل الجراحات ، ليس بعد لتجنّب جهنم بل ، كما قلنا ، إذ تذوّق حلاوة المحبّة مع اللّه ، فهو يخشى السقوط منها ، يخشى حرمانه إيّاها. ها هي ، إذاً المخافة الكاملة ، تلك المخافة المتولّدة من المحبّة ، فهي تطرح خارجاً خوف المبتدئين». الإيمان هو بداية الطريق الذي يقود إلى المناولة الإلهيّة وأمّا المحبّة فنهايته: «هوذا مبدأ الحياة وغايتها ، أمّا الإيمان فهو بدايتها ، أما المحبّة فنهايتها . وهاتان معاً تقودان إلى اللّه»(القديس أغناطيوس أسقف أنطاكية)

اللحظة التي يتقبّل فيها الإنسان الربّ داخله هي لحظة المحبّة الإلهيّة المقدّمة ولحظة المحبّة البشريّة التي تتقدّم وتقتبل العطيّة. «لنحبّ المسيح ، يحثّنا **الذهبيّ الفم**، كما يجدر بنا أن نحبّه. ومحبّتنا هذه نحوه هي الأجر العظيم الذي يمنحنا إيّاه اللّه. إنّها الملكوت والغبطة ، إنّها التنعّم والمجد والكرامة ، إنّها النّور ، إنّها الغبطة الفائقة التي يعجز الكلام عن وصفها أو الذهن عن إدراكها». ويكتب القديس **إسحق السرياني**: «الفردوس هو محبّة اللّه ... عندما نعثر على المحبّة ، نأكل خبزاً سماوياً ... مَن يَجد المحبّة ، يأكل المسيح كلّ يوم وكلّ ساعة فيغدو غير مائت ... مغبوط مَن يأكل خبز المحبّة الذي هو المسيح ... فما هو الأكل والشرب على مائدة ملكوتي إن لم يكن محبّة ؟ بمقدور المحبّة أن تروي الإنسان عوض المشرب والمأكل! هوذا الخمر الذي يفرّح قلب الإنسان! مغبوط الذي يشرب من ذاك الخمر!».

القدّاس الإلهي هو ملكوت اللّه. وغذاء عشاء الملكوت هو «**المحبّة**». بالتوبة ومخافة اللّه نبحر عبر بحر هذه الحياة ونبلغ إلى المحبّة. «التوبة هي السفينة ، أما المخافة فقبطانها، وأما المحبّة فالميناء الإلهيّ .. وعندما نبلغ إلى المحبّة ، نبلغ إلى اللّه. وتبلغ طريقنا إلى منتهاها ، ونرسو على شاطىء الجزيرة التي ليست من هذا العالم ، حيث الآب والإبن والروح القدس ، له المجد والعزّة ، وأمّا نحن فليجعلنا مستحقّين لمجده ولمحبّته الكائنة في مخافته. آمين» (القديس إسحق السرياني).

وعندما يناول **الكاهن** المؤمنين، يقول لكلّ واحد: عبد اللّه (فلان) يُناوَل جسد ربّنا وإلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح ودمه ، لغفران الخطايا وللحياة الأبديّة. آمين.

،بينما يتناول المؤمنين ، يرتّل الجوق : إقبلني اليوم شريكاً في عشائك السريّ يا ابن اللّه ...

يتبع

الملائكة والشياطين

م. باسيليا شلينك

تتمة من العدد السابق:

والشيطان يضحك بإزدراء من أولئك المنافقين المرائين ويقيّدهم أكثر بأكثر بشخصه ، ولكن الذي يريد أن يحيا في الإنتصار الأكبر في معركة الخطيّة والشيطان عليه أن يعترف بخطاياه في كل يوم ويتوب عنها بعزم القلب وينال التطهير في دم الحمل الذبيح.

وهذا ينطبق بصورة خاصّة على أولئك الذين قُيّدوا بالسحر والعرافة إلى سلطة الشيطان حتى أنّهم لا يستطيعون الفكاك من قيودهم ، وكم نخوض معركة قاسية في سبيل معونتهم لينفضوا عنهم كل إتصال بقوّات الظلمة ، ويقبلوا يسوع من جديد داعين إسمه! والشيطان لا يطيق إسم يسوع فيهرب! والقيود تنتهي إلى التحطيم ، عند سماع إسم يسوع، وكم من المرّات نلتقي بأناس ممن قُيّدوا بسلاسل المخدّر، وأصبحوا مُدمنين لهذه السموم ، وتسلّطت عليهم تسلّطاً قاسياً ، فإذا بهم ، حينما يدعون بإسم يسوع ينالون التحرير الكامل.

وينطبق هذا حتى في حالات أولئك الذين عليهم أرواح شرّيرة، إذ يستطيعون أن يتحرّروا بهذا الشعار ... **«هناك واحد قد حطّم قوّة الشيطان ، يسوع المسيح على صليب الجلجثة»**.

وهناك بعض الأمثلة على صدق هذه الحقيقة.

في بلاد الصين كانت تعيش شابة عليها شيطان ، وبينما كان أخوها غائباً، وهو من حرس الجيش الأحمر ، إمتلأ دهشة ورعباً ، حينما عاد وشاهد شقيقته التي كانت منذ عام مضى فائضة بالرشاقة ، والحيويّة ، قد أصبحت عجوزاً شمطاء ، قد رسم العذاب أثره على تجعّدات وجهها ، وأصبحت نظراتها زائغة مضطربة ، وكان هناك صوت رجل ينطق بلسانها ويقول ...

«هناك واحد فقط أخشاه ، واحد فقط وليس سواه هو يسوع الناصريّ» ولم يكن الشاب يعرف أنّه هو وحده الذي يستطيع أن يُنقذ شقيقته من هذا البلاء الداهم ، ولكن في تلك القرية الصينيّة ، لم يكن هناك شخص يعرف شيئاً عن يسوع ...

وفجأة تذكّر الشاب المجنّد حادثة وقعت له وهو راجع إلى قريته فقد تعطّلت الحافلة في وسط الطريق وفي ذلك المكان وجد الترحيب من جماعة لم يكن يعرفها وعندما أصلح العُطل قال له كبير تلك الجماعة مودّعاً: «يا ليت الربّ يسوع يباركك! إذهب في سبيلك وسلامه يكون معك!».

وفي أزمته النفسيّة من أجل شقيقته وقد تذكّر تماماً المكان الذي توقّف فيه ، ركب عائداً إلى شمال البلاد حتى وصل إلى مقصده بعد سفر ليلة كاملة ، وهناك عرف إنّه يوجد في ذلك المكان واحد من المراكز التبشيريّة بإسم يسوع ، يُعرف بإسم **«عائلات يسوع»** وهناك إصطحب إثنين من رجال ذلك المركز وقَفَلَ راجعاً إلى قريته.

وحالما دخل إلى البيت إزداد جنون الشابة المعذّبة وراحت تهرف وتهذي وقد تشابكت أصابعها في شعر رأسها لقد كانت جالسة على الأرض وبَدَت في نظراتها الزائغة أشبه ما تكون بوحش جريح حبيس وهَتَفَ صوتٌ من أعماقها مزمجراً ...**«وماذا تريدون الآن»**.

ومدَّ الرَجلان يمينيّهما فوقها وهما يهتفان: «إنّنا نأمرك في إسم يسوع وفي قوّة دمه أيّها الروح النجس المعذِّب ... أيّها الشيطان الذي لا نعرف إسمه. أن تخرج من ضحيّتك ، وفي سلطان يسوع ، وبإسمه نأمرك أن تذهب إلى المكان الذي أعدّه يسوع لك ، وهناك يقيّدك إلى الأبد ، حتى لا تعود إليها مرّة أخرى ـ ذلك لأنّ يسوع هو المنتصر». وبكل هدوء وثبات ، كرّرا هذه الكلمات كلمة كلمة وارتمت الفتاة على الأرض وهي تتلوّى وسمع صوت **«الرجل»** في داخلها يقول...

«سوفَ أذهب ... سوفَ أذهب ... سوفَ أذهب ...» وفي كلّ مرّة يضعف الصوت وكأنّما هناك الإنسان الذي يبعد عن المكان حتى قال: «سأذ.....» وغاب الصوت بعيداً ...

وذهب واحدٌ من الرَجُلين ، ووضع يده عليها قائلاً: «كلّ سلطان في السماء وفي الأرض قد دُفع للربّ يسوع المنتصر ، أيّتها الإبنة لا تخافي. أنت الآن تحت حمايته. إن في يسوع سلامك في الزمن ، وفي يسوع سلامك بطول الأبديّة ـ إقبلي الروح القدس ، ويا ليت الربّ يرعاك ويحفظك من كل أذى ويا ليته يهبك المعونة ، ويقويك في كل عملٍ صالح، لمجد إسمه. آمين».

أمّا الفتاة فقد كانت ممدّدة على الأرض كمن فقدت الحياة.

وجاء الرجل الثاني وأقامها هاتفاً: «قومي ... يسوع هو المنتصر ، وإن حرّركم الأبن فبالحقيقة تكونون أحراراً».

أما والد الشابة فلم يصدّق عينيّه ، حينما رأى إبنته تقف على قدميّها ، لقد عاد إليها هدوءها ، ورجعت إلى حالتها الطبيعيّة ، كما كانت منذ شهور ؛ وكانت تتثائب وهي تحاول أن تتذكّر ما حدث لها ، وكأنّها كانت في حلم غريب رهيب إستيقظت منه على التوّ ، وحينما شاهدت والدها أسرعت إليه بابتسامة وهي تقول: «لقد عدتُ إليك ثانية».

وهذه شهادة أخرى من باك أو كتافيانوس من **أندونيسيا** شَهِدَ بها ، خلال النهضة التي عمّت أكثر من مكان هناك ، وهي ترينا كيفَ أن إسم يسوع له السلطان على قوّات الظلمة ...

فلقد لقي فريق الإنجيل في كليّته الكتابيّة ، مقاومة عنيدة ، من ساحر معروف يستخدم الأرواح وكانت تؤيّده بأعمال سحر خارقة للعادة. وعلى سبيل المثال كانت له المقدرة أن يعدّ إلى عدد (٥) فإذا دجاجة حيّة تجري ، تسقط أمامه ميّتة! أما إذا دقّق النظر في كلب أمامه فإنّ الكلب سرعان ما يسقط ميتاً ، لكنك إذا طلبت منه أن يعيدَ الكلب أو الدجاجة إلى الحياة فإنّه لا يستطيع ذلك.

يقول باك في شهادته:

«لقد تعرّض لنا هذا الساحر يتحدّانا وهو يهتف قائلاً: أقول لكم إنّني أستطيع أن أجعل النّاس يسقطون موتى وإنّي أتحدّاكم ليعرف الجميع ، بأنّ لي السحر الأقوى من يَسُوعكم ومن كافّة السَحرة الذين تلقّنت عنهم هذا الفن!» ويستمر صاحب الشهادة قائلاً: «واندفع كلّ طلبة الكليّة يصلّون ، ويرفعون تضرعاتهم إلى الربّ وقد نالوا اليقين في أعماقهم بأنّهم سينتصرون عليه ، وكان الساحر يجلس أمامي وجهاً لوجه ، في حجرة المكتب ، في الوقت الذي كان فيه الطلبة يصلّون ويرفعون توسّلاتهم. ثمّ قال الساحر لي وهو يرفع نظّاراته عن عينيه: حملق الآن في عينيّ وإني أقول لكَ سوفَ تسقط ميتاً أمامي.!

«ونزعت أنا أيضاً نظاراتي وأن أثبت أنظاري عليه وهتفتُ موبّخاً:بإسم يسوع المسيح أُقَيّد الآن قوى الشيطان الذي فيك ، اليوم يحبسك الربّ في يدي وتضيع عنك قوّتك ... وظللتُ أنظر إليه بقوّة وسرعان ما رأيته يترنّح ويسقط على الأرض ويتخشّب كإنسان ميّت»،

«وأسرعتُ إليه مع من جاء من الطلبة وهتفنا فيه بإسم يسوع المسيح قم! ...».

وقام وهو يفرك عينيه ولكن نظرة الغضب كانت تبدو عليه وهو يتمتم: لقد انتصر يسوع إنّ يسوع هو الربّ الحقّ.

وإذ إستعاد وعيه شيئاً فشيئاً ، وابتدأ يتذكّر الأمور قال: ومع ذلك مازالت لديّ القوّة ـ منذ عشرين عاماً دسّوا في ذراعي بقوّة السحر إبرتين من ذهب وهاتان هما سرّ قوّتي وتأثيري.

وهذه مكّنته ـ كما يقول ـ بأن يتحرّك وسط الأعداء ، فلا يُلقي أحدٌ عليه الأيادي وحفظته من أن تصيبه أي طلقة تُطلق عليه أو خنجر يُطعن به. ثمّ أخرج من جيبه خنجراً وسلّمه لواحد من الطلبة وطلب منه أن يطعنه به ، وحاول الطالب ذلك ولكن الخنجر لم ينفذ لحمه ولم يخدش حتى جسده ـ وعاد الساحر يقول إنّ القوّة ما تزال لديّ فهل يستطيع يسوع أن يُخرج هاتين الإبرتين من ذراعي ؟.

«ورفعنا قلوبنا مرّة أخرى في الصلاة وأعطانا الربّ اليقين بأنّ هذا الرَجل صادق فيما أخبرنا به ، كما أكّدَ لنا بأنّه سيجري المعجزة معه ، ومرّة أخرى شعرنا بأنّ الشيطان يتحدانا بقوّته في ذلك الساحر وأن علينا أن نواجه هذا التحدي وهتفت فيه: بإسم يسوع المسيح لتخرج هاتان الإبرتان من ذراعك.

وشاهدنا شيئاً يتحرّك تحت جلد الساحر وبأعيننا شاهدنا الإبرتين السحريتين ، تخرجان الواحدة بعد الأخرى ، من ذراعيّ الرجل العاريتين. وفي كل مرّة كانت تخرج إحداها ، كان يسقط على الأرض ، ويتخشّب جسده كالميّت. وكان علينا أن نقيمه ، ونحنُ ندعوا بإسم الربّ يسوع.

وأخيراً قام معترفاً بأنّ يسوع المسيح هو الربّ الإله الحقيقي».

ولقد ظهر بوضوح ، إنتصار الرب يسوع على الشياطين.

في أفريقيا ، تقول الكاتبة **(م. باسيليا شلينك)** أيضاً من إختبارها الشخصي:

«لقد كانت لنا مُرسلة صديقة في قلب **أنجولا** ، وكانت تشتاق أن يضيء المسيح بنور ملكوت محبّته في تلك البلاد ، وكان ممّا يعذّبها ، ويؤلمها أن ترى واحداً ممن نالوا الحياة في المسيح ، وأصبح عضواً في الكنيسة ، ما تزال تعذّبه قوى شيطانيّة. ولكم حاول الأعضاء زملاؤه ، معونته ، متضرّعين من أجله.

وفي هذه الأثناء تلقّت صديقتنا المُرسلة كتاب صلاة من كنعان (كنعان هو الإسم الذي أطلقته مؤسّسة رهبانيّة أخوات مريم الإنجيليات ، على مساحة الأرض التي تخصّهم حيث أن هذه الأرض تشير إلى ملكوت اللّه الذي سوف يكون ملكاً لهم ..) وجد فيها كثيرون العون صلاة الإنتصار في إسم يسوع وفي جراحه .

وبعد شهور وصلت رسالة من تلك الأخت المرسلة تفيض بالفرح تقول فيها:

«لقد كانت صلاة الإنتصار في إسم يسوع ، وفي جروحه ، ذات معونة عظمى لنا ، في صراعنا من أجل أخينا (إلاكْ). ويسعدني أن أخبركم بأن (إلاكْ) قد تحرّر من القوى الشرّيرة التي تعذّبه ، ولو أنّنا كدنا نيأس من خلاصه، فبإسم يسوع قد تحرّر ذاك الذي كانت تلبسه الشياطين ، وهو الآن يقدّم شهادته أمام الأخوة في كلّ إجتماع ، بما عمله الربّ معه وكيف خلّصه إلى التمام».

يتبع في العدد القادم

النفاق من أسلحة الشيطان المخيفة

ما أكثر الألسنة المصقولة التي حُدِّدت للوشايات وصارت أحدّ من السيف ، ليس للجرح فقط بل للقطع والتمزيق ، وسبّبت موت نفوس بريئة ، وخدعت قلوباً سليمة ، وسَبَت عقول كثيرين إغترّوا بها ، وخرّبت بيوتاً كانت عامرة ، وأحدثت خصومات ومنازعات لا حدّ لها. وما أكثر وجود المنافقين المملّقين الذين ألسنتهم ألين من الدهن وأنعم من الزيت ، يتظاهرون باللطف ، والخبث في قلوبهم ، ويخدعون ويقتنصون القلوب البريئة على غير انتباه ، ولكن هذا النفاق إن خَفِيَ على النّاس فلا يخفَى على اللّه.

استقلال التجسّد الإلهي عن سقوط الإنسان

المتروبوليت إيروثيوس فلاخوس ، تعريب الأب أنطوان ملكي

مقالة لاهوتيّة فريدة

أ) الموقف العام لآباء الكنيسة .
ب) موقف القديس نيقوديموس الأثوسي .
ج) التدبير الإلهي هو إرادة الله السابقة .
د) استنتاجات .

يُدخل سر تجسّد ابن الله وكلمته إلى تألّه الإنسان. يشدّد آباء الكنيسة القديسون على أن الله صار إنساناً لكي يجعل الإنسان إلهاً. لا يبلغ أي إنسان إلى التألّه إلا عبر ابن الله وكلمته المتجسّد. يناقش اللاهوتيون المعاصرون ما إذا كان التجسّد قد استلزم سقطة آدم أو إذا كان التجسّد مستقلاً عن سقوط الإنسان. وتقوم هذه المناقشة لأنّ هناك نصوصاً لآباء الكنيسة حول هذه السقطة.

أ) الموقف العام لآباء الكنيسة:

تنبغي الإشارة منذ البداية إلى أنّ الآباء القديسين لا يواجهون هذا السؤال على منوال سكولاستيكي بطريقة إفتراضية. فهم لم يفكروا في ما إذا كان المسيح ليتجسّد أو لا لو لم يسقط آدم. هذه الأسئلة تشير إلى استعمال مفرط للعقل في مجهود لفهم أسرار الله، وهذا **سكولاستيكية نموذجية** وليس **لاهوتاً أرثوذكسياً**.

يهتمّ **لاهوت الكنيسة الأرثوذكسية** بالأحداث التي جرت ويتعاطى مع مسألة شفاء الطبيعة البشرية والناس جميعاً. ينظر هذا اللاهوت إلى الطبيعة البشرية الساقطة وكيفية شفائها للبلوغ إلى التألّه الذي صار من خلال تجسد الله.

في التعليم الآبائي أن في التجسّد إتّحد ابن الله وكلمته أقنومياً بالطبيعة البشرية وهكذا تألّهت هذه الطبيعة وصار الدواء الحقيقي والوحيد لخلاص الإنسان وتألّهه. من خلال المعمودية المقدسة يستطيع الإنسان أن يصير عضواً لجسد المسيح ومن خلال المناولة المقدسة يستطيع أن يشترك في الجسد المؤلّه للمسيح، الجسد الذي أخذه من والدته السيّدة.

لو لم تتم هذه الوحدة الأقنومية بين الطبيعتين الإلهية والبشرية، لما كان التألّه ممكناً. لهذا السبب كان التجسّد الغاية الأخيرة لخلق الإنسان. إن آلام المسيح وصليبه هي الأمور التي أضافها سقوط آدم. يقول القديس مكسيموس أن التجسّد كان لخلاص الطبيعة، والآلام كانت بهدف تحرير أولئك الذين بالخطيئة امتلكهم الموت.

يقول القديس أثناسيوس الكبير أنه كان ينبغي أن يتجسّد ابن الله لسببين أساسيين.

أولاً، ليغيّر الفاسد إلى عدم الفساد والمائت إلى عدم الموت، وهو ما لم يحدث بالتوبة البسيطة إنما باتّخاذ الله الجسد البشري المائت والسريع التأثر.

ثانياً، لكي يتجدد الإنسان بالمسيح لأن الإبن وكلمة الله هو المثال الأول للإنسان.

هذا الموقف اللاهوتي للقديس أثناسيوس لا يعارض موقف آباء الكنيسة الآخرين الذين سوف نراه بعد قليل والذين يتكلّمون عن أن التجسّد الإلهي لا يفترض السقوط كشرط مطلق. وهذا لسببين أساسيين.

أولاً لأن في التحليلات التي يقدمها، ينظر القديس أثناسيوس إلى الإنسان الساقط بشكل خاص فيتحدث عن سقوط الإنسان وإعادة تجديده. يرتكز لاهوت القديس على الحقيقة القائمة. وهو يهتم بشكل جدي بتجديد وإصلاح هذا الإنسان الذي لبس الموات وإمكانية التجربة.

ثانياً، لأنه يتحدث عن سر التجسد الإلهي وتدبير الله كما نعرفه اليوم. فعندما يتكلّم عن التجسد والتألّه هو يعني تجسد المسيح وآلامه وصليبه وقيامته. يرى القديس أثناسيوس هذا كافياً ولا يتابع إلى تحاليل أخرى.

إذاً، تختلف افتراضات القديس أثناسيوس الكبير عن افتراضات غيره من الآباء القديسين الذين سوف نتوقف عندهم في الجزء التالي. إنهم لا يتكلمون عن الأمور نفسها. ينبغي أن نكون قادرين على ولوج نوس الآباء وتعليمهم كي لا نكون مخطئين.

ب) موقف القديس نيقوديموس الأثوسي:

في تحليله للتعليم الآبائي حول النقطة ذاتها، يصل القديس نيقوديموس إلى خلاصة أن تجسد ابن الله وكلمته لم يكن نتيجة **سقوط الإنسان** بل كان الهدف الأول من خلقه، لأن بهذا يمكن الوصول إلى التألّه. هذا يبدو صحيحاً عندما نفكر بأن سقوط آدم لم يكن لـ «**يلزم**» الله أن يصبح إنساناً ولم يكن المسيح ليأخذ الطبيعة البَشرية إلى الأبد. هذا ما يتركنا نستنتج بأن السقوط تمّ لكي يتجسّد الله وبأنّه في النهاية لم يكن سيئاً بل كان بركة. يطوّر القديس نيقوديموس الأثوسي هذه النقطة اللاهوتية في دراسة ممتازة عنوانها: «**دفاع عن النص الذائع الصيت حول سيدتنا والدة الإله في كتاب الحرب اللامنظورة**» الذي يشكّل مثالاً للمقالة اللاهوتية. لقد كان القديس نيقوديموس الأثوسي لاهوتياً عظيماً في الكنيسة لأنه استوعب التعليم الآبائي بشكل عميق وعبّر عنه بشكل مؤثّر ومثمر، لقد حدّد الحافز لكتابة دفاعه عبارة من كتاب «**الحرب غير المنظورة**» الذي كان منتشراً في ذلك الحين فكتب: «إنّ كل العالم المنظور وغير المنظور تكوّن لهذا الهدف، لوالدة الإله، ووالدة الإله كانت من أجل سيدنا يسوع المسيح».

لقد أثارت هذه المقالة بعض لاهوتيي ذلك الزمان الذين عبّروا عن شكوك حولها. لهذا كتب القديس نيقوديموس في بداية دفاعه: «بما أن بعض المعلّقين المهتمّين باللاهوت المقدّس والذين قد قرؤوا ما كتبت عن السيدة والدة الإله... محتارون... أنا أعتذر هنا لتقصيري عن حل مشكلتهم». إنه لأمر مثير للإعجاب أن يبدأ القدّيس دفاعه بتواضع كبير من دون أن يفتري أو أن ينتقد لاهوتيي زمانه الذين كانوا ينتقدونه. فهو يتقدم إلى شرحه من دون هوى إنما بهدوء ورزانة. بالواقع، إن المواضيع اللاهوتية تستلزم حواراً جدياً، وإلا فالروح القدس لا يعمل.

بعد تقديم حججه اللاهوتية، التي سوف نعرضها في ما يلي، يستنتج: «أرى أن هذه الكلمات القليلة تكفي للاعتذار من الحكّام المشكورين والقرّاء لما كتبت عن والدة الإله، وأنا أسألهم ألاّ يفرطوا بلومي، لأني لا أكتب ما كتبت من رأيي ولا من عقيدتي، بل اتّبعت عقائد اللاهوتيين الذين تكلّموا قبلي. وإذا كان البعض يوبخني محرّكاً بالانفعال فليوبّخ بالأحرى **مكسيموس المتوشح بالله، غريغوريوس التسالونيكي وإندراوس العظيم** وغيرهم من الذين استعرت منهم هذه العقيدة».

إنّ هذا النص مذهل ويظهر طريقة القدّيس في مواجهة الحالات المماثلة. في البداية يتكلّم القديس نيقوديموس بتهذيب. فهو يصف قرّاءه بالمشكورين ويسألهم بألاّ يلوموه بإفراط. إنه يأمل بألاّ يكون متّهموه محرّكين بالهوى. مع أنّه يعرف أنهم مشبَعين من الأهواء، فإنّه لا يتوجّه إليهم باتهامات سطحية. من ثمّ يشدّد على أنّه لا يعبّر عن نظرته هو ، لكنه يروي تعليم آباء الكنيسة القدّيسين الذين منهم استعار هذه العبارة.

في ما يلي سوف نعالج بتحليل أكثر نظرة القديس نيقوديموس الأثوسي اللاهوتية التي بحسبها «كل العالم المنظور وغير المنظور تكوّن لهذا الهدف، لوالدة الإله، ووالدة الإله كانت من أجل سيدنا يسوع المسيح»، أي أن تجسّد المسيح كان الهدف الأصلي للخليقة وغايتها. هذا يعني أنه هكذا تمّ إتحاد الإنسان بالله، وبالتالي التجسّد كان مستقلاً عن سقطة آدم.

ج) التدبير الإلهي هو إرادة الله السابقة:

لكي يدعم نظرته، يأخذ القديس نيقوديموس مقاطع من الكتاب المقدّس وآباء الكنيسة القديسين. فمن الكتاب المقدّس يأخذ بشكل أساسي ثلاث مقاطع، الأول من الأمثال حيث يقول: «الرب قناني أول طريقه من قبل أعماله منذ القدم» (أمثال٨:٢٢).

الثاني هو من رسالة بولس إلى الكولوسيين، حيث يسمّى المسيح بكر كل خليقة: «الذي هو صورة الله غير المنظور بكر كل خليقة» (كولوسي١:١٥). وبطريقة مماثلة يورد المقطع من رسالة بولس إلى الروميين: «لأن الذين سبق فعرفهم سبق فعيّنهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه ليكون هو بكراً بين إخوة كثيرين» (رو ٨:٢٩).

في تفسيره لهذه المقاطع على أساس تعليم الآباء القديسين، يقول أنها لا تشير إلى الألوهة، لأنّ الكلمة لم يُخلَق من الله، ولا هو أول المخلوقات كما قال أريوس، لكن هذه المقاطع تشير إلى بشرية المسيح التي «هي بداية كل قضاء تنبأ به الله قبل أي شيء آخر، إنها أولى ما قام به». هكذا، سر تدبير الإبن المتجسّد وكلمة الله يبدأ من كل طرق الله، إنّه بكر كل خليقة «وقد تمّ تحديده قبل تعيين كل المخلَّصين».

عند **القديس مكسيموس المعترف** مقطع مميّز يدعم نظرته. سوف أستشهد هنا بجزء كبير منه لأن معناه مهم وله وزنه. «إنّه سرّ التجسّد لعظيم وعميق. إنه الأمر المبارَك الذي لأجله كل الأشياء توطدت أهدافها». إن تجسّد المسيح هو سر عظيم وعميق لأجله أوجد الثالوث القدوس العالم كله.

ويتابع **القديس مكسيموس**: «إنه الغاية التي تصوَّرها الإله سلفاً لأول الخليقة محدداً ما نسميه الهدف الذي لأجله كل شيء كان من دون أن يكون هو لأي شيء». إن هذه العبارة مذهلة لأنها تظهر أن سر التجسد هو الغاية الإلهية التي كانت من بدء خليقة الكائنات وكل شيء كان لهذا الهدف وليس لأي هدف آخر. هذا يعني أن قرار التجسّد سبق. بالتأكيد، يجب فهم هذا الأمر بمعنى أن الوقت ليس موجوداً في الله. ويتابع القديس مكسيموس بشكل معبّر: «أوجد الله جواهر الكائنات بهذا الهدف. إنه بشكل رئيسي غاية العناية الإلهية والأمور التي يقدمها، ونحو هذه الغاية تكون في الله خلاصة كل الأمور التي صنعها». خلق الله العالم لهذا الهدف، فغاية العناية الإلهية وإعادة كل الخليقة هي التجسد. هذا المقطع مفاجئ ومميّز جداً ولا يستطيع أحد أن يفسّره بطريقة أخرى. إذاً، إذا كان هذا المقطع من تعليم القديس مكسيموس صحيحاً، فسوف يثبّت أن تألّه الإنسان تمّ بالفعل عبر الاتحاد الأقنومي بين الطبيعتين الإلهية والبشرية في شخص كلمة الله. وهكذا، فالسيّدة والدة الإله التي منها أتّخذ المسيح جسداً، كانت حصيلة خلق كل العالم، المنظور وغير المنظور. الإنسان هو خلاصة كل الخليقة.

يقول القديس غريغوريوس بالاماس بالإشارة إلى إثبات الآب عند معمودية المسيح في نهر الأردن: «هذا هو ابني الحبيب»، أنّ هذا الصوت يظهر أنّ كل ما كان في العهد القديم، الناموس والوعود والتبنّي، كان غير كامل «ولا مختاراً أو مكمّلاً بحسب رأي الله المسبَق، بل كان يتطلّع نحو الغاية الحاضرة ومكمّلاً نحو الحاضر، وهذه الأمور أتمَّت».

من ثمّ يقول أنه ليس فقط أحداث العهد القديم بل أيضاً بداية العالم والإنسان كانت موجّهة نحو المسيح. وفيما هو يتابع، يشدّد أن خلق الإنسان أيضاً كان لهذا الهدف. خُلق الإنسان على صورة الله «لكي يكون قادراً يوماً ما على احتواء النموذج الأصلي». هنا يميّز القديس غريغوريوس بالاماس بشكل حكيم بين إرادة الله السابقة، التي هي رغبته الصالحة، وإرادته الصالحة النهائية أي تجسّد كلمة الله من جهة، وإرادة الله بالتدبير أي ناموس العهد القديم من جهة أخرى. إن تجسّد إبن الله وكلمته هو الرغبة الإلهية السابقة وبالتالي هو مستقلّ عن سقوط الإنسان.

يستنتج القديس نيقوديموس الأثوسي في إشارته إلى هذه المقاطع: «أتسمع أن الله خلق الإنسان على صورته لكي يكون قادراً على احتواء النموذج الأصلي للتجسّد ؟ ولهذا صنع الله الإنسان وحدة من العالم العقلي والحسي، وموجَزاً وخلاصةً لكل المخلوقات حتى باتحاده معه يتحد بكل المخلوقات، كما يقول القديس بولس، والخالق والخليقة يصبحان واحداً بالأقنوم بحسب مكسيموس المتوشّح الإله».

إن حقيقة كون التدبير الإلهي، سر تجسّد ابن الله وكلمته، هو إرادةَ الله السابقة، تظهر من أن الملائكة استفادوا من التجسد أيضاً. نحن نعرف جيداً أن الإنسان أخطأ وليس الملائكة الذين يمجدون الله بلا انقطاع. كون الملائكة استفادوا من التجسد يعني أن هذا الخير كان في فكر الله وهو إرادته الكاملة وليس تدبيراً.

بحسب القديس نيكيتا ستيثاتوس، الملائكة كانوا بلا ميل نحو الشر، ولكن بعد التجسد، وخاصةً بعد قيامة المسيح، صاروا ثابتين ضد الشر «**ليس بالطبيعة بل بالنعمة**». لقد بلغوا الثبات، بحسب القديس يوحنا الدمشقي، وحصلوا على الصمود بحسب القديس غريغوريوس بالاماس. وهكذا أيضاً كان الإنسان سوف يحصل على التألّه بالنعمة من خلال تجسد المسيح حتى ولو لم يكن السقوط.

بالطبع علينا أن نكرر أن الآباء لم يقاربوا هذا الموضوع افتراضياً كون هذه المقاربة هي طريقة التفكير السكولاستيكية، لكننا استعملنا هذه العبارة الافتراضية لكي نقدّم تشديداً خاصاً على الحقيقة الإيجابية التي مفادها أن من خلال المسيح أتى تألّه الإنسان. من خلال تجسد المسيح صار الملائكة، بالإضافة إلى كونهم غير متغيرين، صاروا أيضاً أكثر تقبّلاً للإستنارة. يستعمل القديس نيقوديموس حججاً أخرى لكي يظهر أن التجسد هو الإرادة الأصلية، كما يسمّيها النبي إشعياء، كونها قديمة والأولى بين تصاميمه. في الله جوهر، أقنوم وقوى. القوى، أو

أنت الكرمة الحقيقيّة التي أنبتت ثمرة الحياة يا والدة الإله السيّدة.
فإليك نتضرَّع أن تتشفّعي مع الرسل وجميع القديسين في أن تَرحَم نفوسنا

الفعل الذي به يشترك الله مع الخلائق، خارجية. الأقنوم هو أكثر داخلية والجوهر هو الأعمق في الداخل. «بهذه الثلاثة اتّخذ الله إلى الأبد هذه الروابط الثلاث العامة». يشترك الآب بالجوهر إلى الأبد مع الابن والروح، بولادة الابن وبثق الروح. «الابن اتّخذ علاقة أقنومية من الشركة مع البشرية، من خلال هذه العلاقة عرف مقدّماً وأدرك مسبقاً الوحدة الفعلية التي بعد هذه العلاقة في الزمن».وعلى المنوال نفسه، «اتّخذ الله علاقة أبدية... ليشترك بالقوى مع الخلائق الباقية، ومن خلال هذه العلاقة هو عرف مقدّماً وأدرك مسبقاً مصير كل الخلائق العقلية والجسدية». بما أن هذه العلاقة الأقنومية هي أكثر داخلية من علاقة القوى، فالمعرفة المسبقة للوحدة الأقنومية بين الطبيعتين الإلهية والبشرية سابقة للوحدة بالقوى وأكثر أصالة منها.

يظهر هذا أيضاً في كلمات الآباء القديسين عن **والدة الإله** التي هي الشخص الذي خدم سر التجسّد والتي قدّمت جسدها ليكون الوحدة الأقنومية بين الطبيعتين الإلهية والبشرية. وهكذا يقول القديس اندراوس الكريتي «والدة الإله هي... هدف عهد الله لنا. إنها تجلّي الأعماق العويصة غير المفهومة؛ إنّها الهدف الموضوع سلفاً لكل الأجيال لصنع الأجيال؛ إنّها تاج النبوءات الإلهية؛ إنها الإرادة الإلهية التي تفوق الوصف والتي لا سبيل لوصفها بكل ما في الكلمة من معنى قبل الأزل لحراسة الإنسان».

هذه النظرة اللاهوتية مقبولة إذا افتكرنا أن المسيح هو بداية خلق العالم وتألّه الإنسان ووسطهما ونهايتهما. فقط من هذا المنظار يمكننا أن نرى أن سر التجسد مستقل عن سقوط الإنسان. يقول القديس مكسيموس المعترف أن ربنا يسوع

المسيح هو «بداية الأجيال ووسطها ونهايتها، الماضية والحاضرة والمستقبلة».وفي تفسير هذا الكلام يقول القديس نيقوديموس الأثوسي أن هذا السر هو بداية الخلائق، لأن هدف هذا السر كان بداية المعرفة السابقة لخلق كل الخلائق وسبب هذه المعرفة وهذا الخلق. إنه الوسط لأنه منح الملء لمعرفة الله المسبقة وبالتالي الثبات للملائكة وعدم الموت وعدم الفساد والخلاص للبشر. إنه أيضاً النهاية لأن هذا السر صار الكمال والتأله والمجد والبركة للملائكة والبشر ولكل الخليقة.

د) استنتاجات

بعد تحليل هذا الموقف اللاهوتي، يصل القديس نيقوديموس إلى استنتاجين.

الاستنتاج الأول:

أ) ، أنه «لا بد لسر التجسد من أن يكون، أولاً وقبل كل شيء لأن هذا السر كان إرادة الله المسبقة، كما نقول مع القديس غريغوريوس التسالونيكي، بالدرجة الأولى بسبب صلاح الله غير المتناهي والجوهري والأسمى، وبالأحرى بسبب هذا الأساس الأكثر عمقاً للصلاح الأبوي، كما قال مكسيموس الحامل الإله».

ب) ،لأن هذا كان ضرورياً لكل الخلائق الروحية والجسدية كبداياتها ووسطها ونهايتها، كما أُظهر.

الاستنتاج الثاني:

هو أن والدة الإله أيضاً، كونها الوسيلة الأكثر مباشرة وصراحة والسبب المشترك الضروري لهذا السر (لأن جسد المسيح هو جسد مريم بحسب الطوباوي أوغسطين)، كانت معروفة مسبقاً ومسامة من الله قبل كل الخلائق الأخرى، وكل الخلائق الأخرى سيمت ووُجدت من خلالها، كون هذا هو الهدف الذي في فكر الله مسبقاً، كما أنه النهاية التي من أجلها تكوّنت كل الأشياء، كما قال القديس أندراوس.

قد يبدو للوهلة الأولى أن كل ما يُشرح هنا، استناداً إلى تعليم الآباء القديسين، يشير إلى أمور نظرية لا تحمل أي تأثير على الحياة الروحية. ولكن هذا خطأ لأن للعقيدة علاقة عميقة وحميمة بحياة الإنسان الروحية. تُثبَت هذه الحقيقة في هذا التعليم اللاهوتي.

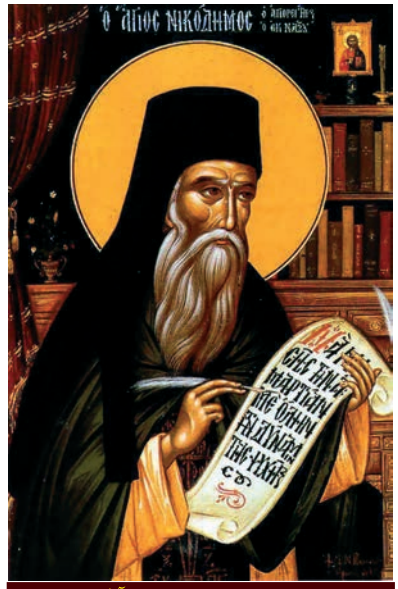
القديس نيقوديموس الآثوسي

يظهر كل ما رأينا أن كلمة الله صار إنساناً لا **لكي يسترضي الصلاح الإلهي**، كما يقول **اللاهوتيون الغربيون**، بل **ليؤلّه الطبيعة البشرية بالمحبة والإحسان**. إن إسترضاء الصلاح الإلهي يعطي بعداً قانونياً للحياة الروحية لأنه يشير إلى أن كل نسكنا يهدف إلى إسترضاء الله. من ناحية أخرى، ليس الله مَن يحتاج مداواة بل نحن.

لذلك تجسد المسيح كان إرادة الله المسبقة والهدف المُطلَق لخلق الإنسان. لم يكن الإنسان ليستطيع أن يبلغ الشركة مع الله لو لم يكن هناك وحدة أقنومية بين طبيعتي المسيح الإلهية والبشرية، لأن هناك فرق عظيم بين المخلوق وغير المخلوق.

لم يكن المخلوق ليستطيع أن يتحد مع غير المخلوق لو لم تكن هذه الوحدة الأقنومية بين الإثنين في شخص المسيح. ما أُضيف بسقوط الإنسان هو آلام المسيح وصليبه وموته وقيامته. وهذه الأمور مفهومة بالطبع بحقيقة أن من خلال تجسده إتّخذ المسيح طبيعة بشرية فائقة النقاوة لكنها قابلة للموت وللهوى.

أرى من واجبي أن أنهي بالقول بأن القديس نيقوديموس الأثوسي، **كما يظهر من هذه الأشياء القليلة التي ذكرناها، هو لاهوتي وأب عظيم للكنيسة في التقليد الآبائي والكنسي. إنه لاهوتي أرثوذكسي يرى خلاص الإنسان في العلاج ضمن الافتراضات المسبقة الأرثوذكسية.**

إذا كان البعض يرى الأمور غير ذلك فلأنهم لا يعرفون تعليم القديس نيقوديموس الذي يقرؤونه مجتزأً ومن خلال افتراضاتهم الخاصة. ولهم يكرّر القديس كلماته التي وجّهها إلى متّهميه في حينه: «أرجو ألاّ تفرطوا بلومي، لأني لا أكتب ما كتبت من رأيي ولا من عقيدتي، بل اتّبَعت عقائد اللاهوتيين الذين تكلّموا قبلي. وإذا كان البعض يوبخني محرّكاً بالانفعال فليوبّخ بالأحرى **مكسيموس المتوشح بالله، غريغوريوس التسالونيكي وإندراوس العظيم** وغيرهم من الذين استعرت منهم هذه العقيدة. للذي يعطي البداية المجد إلى الأبد. آمين».

«الجسد يشتهي ضدّ الروح ، والروح يشتهي ضدّ الجسد وكلاهما يحارب الواحد الآخر»
وفي هذا نستمع إلى الشاعر وهو يحكي لنا قصّة هذه الحرب التاريخيّة المعروفة:

رب ما أعجب حرباً جائرة — بين إنسانين في دائرة
بينما الأوّل روحٌ طاهرة — علويٌّ من سماء طاهرة
إذ أرى الثاني يَشدّ وثقي — مُحكَم الشدّ بدنياهُ الخاسرة

البهجة بالربّ

هي الفرح الكامل ، فسعادتنا وسرورنا وإطمئناننا وكلّ رغد ورفاهة نتصوّرها ونتمتّع بها ، إنّما هي قائمة باللّه وفي اللّه وحده. في بيوتنا وفي قلوبنا وفي أشغالنا ، والخلاصة أن الربّ فرحنا وخلاصنا على الأرض وفي السماء.

للخير

أنتوني م. كونياريس

اللّه يعمل في كلّ الأشياء **للخير**. ما هو هذا الخير الذي يعمل اللّه لأجله ؟

خلال الأزمنة والقرون ، يبحث النّاس لعلّهم يكتشفون الخير الأعظم ، **ما هو أسمى هدف الحياة** ؟ إن هذا هو البحث الأساسي في الفلسفة الأخلاقيّة. لقد حاول وجدَّ الأبيقوريّون والرواقيون والأفلاطونيّون والأرسطوطاليون وآخرون كثيرون للإجابة عن هذا السؤال.

وليس الفلاسفة فقط ، بل وكل واحد منّا لازال يبحث باستمرار ، وهو مُدرك أو غير مدرك للإجابة عن هذا السؤال: «ما هو الخير الأعظم في الحياة» ، وعندما نجد الإجابة، فإنّنا لن نتردّد في تكريس حياتنا ، حياتنا كلها ، لأي شيء نعتبره هو الخير الأعظم.

ما هو الخير الأعظم ؟

لو سألت طفلاً ، ما هو الخير الأعظم؟ لأجابك: إنّه اللعب بالدمى. وإن سألتَ شخصاً جائعاً ، فسوف يجيب: الطعام. وإن سألت رجلاً فقيراً ، لأجابك: المال. وإن سألت مريضاً ، لأجابك: الصحة. وإن سألت أمّاً ، ابنها في الحرب ، فسوف تكون إجابتها: عودته بالسلام إلى دياره . بناء على ما سَبَق ، يبقى السؤال ، ما هو الخير الأعظم ؟

هل هو الصحة ؟

يوجد مَن يقولون: إن الخير الأعظم في الحياة هو الصحة ، حتى إنّنا نسمع الناس يقولون: «إن فقدت صحتك فقد فقدتَ كل شيء ، وإن كنتَ في صحة جيّدة فأنت تملك كلّ شيء». لا شك حقّاً أن الصحة هي عطية جيّدة وعظيمة ، ونحن لأجلها نشكر اللّه على فضله ، ولكن هل هذا يعني أنه إذا أصابنا مرض لا يبقى لنا سبب نشكر اللّه عليه ؟ إنّ الأمر صعب ! إن القوّة علَى إحتمال المرض بشجاعة وبشكر إنما هي عطيّة عظيمة أيضاً ، وهي تأتي من قلبٍ يثق ويطمئن إليه.

إنّ الصحة هي عطيّة من اللّه يلزم أن نستخدمها لتمجيده ، ولكنها ليست هي غاية الحياة العظمى ، الخير الأعظم ، لأنه إذا ما وهنت الصحة ، فإنّنا نظل نحظى بمعونة نفس الإله الذي يعطينا الصحة. إنّه لا يتركنا أبداً ولا يتخلّى عنّا. إنّه يقدر أن يستخدم كلا الصحة والمرض لخيرنا النهائي. يحكي «جبران خليل جبران» قصّة رمزيّة عن محارة كانت تتكلّم مع محارة تجاورها وتقول لها: «يوجد ألم شديد في داخلي ، إنه ثقيل ويحيط بي من كل جهة»، فأجابت المحارة الأخرى برضى مغلّف بالكبرياء وقالت: «شكراً للسماء والبحر لأنّني لا أتألم من شيء ، إنّني صحيحة وسليمة من الداخل ومن الخارج ، فتصادف في تلك اللحظة أن مرّ سرطان بحري وسمع حديث المحَّارتين ، فقال للمحارة التي في حالة حسنة من الداخل ومن الخارج، حقّاً أنتِ في حالة جيّدة من الخارج ومن الداخل ، ولكن الألم الذي تحتمله زميلتك إنّما هو لؤلؤة فائقةَ الجمال».

مع المسيح صلبتُ فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ. ومالي من الحياة في الجسد أنا أحياهُ في إيمان ابن اللّه الذي أحبني وبذل نفسهُ عنّي.

إن كانت الصحة هي الخير الأعظم ، فبناء على ذلك يكون الألم شرّاً عظيماً ، فهل الأمر هكذا؟ أمَا يستخدم اللّه المرض لأغراض وخطط ومقاصد في حياة أولئك الذين يحبّونه ؟ ألا يستخدمه حقّاً لينتج: «**لآلىء ثمينة فائقة الجمال**». فكيف تكون إذن الصحة هي الخير الأعظم ؟

هل هي السعادة ؟

هناك من يشعرون أن السعادة هي الصلاح الأعظم في الحياة ، إلاّ أنّه مع ذلك ، فإنّ أولئك الذين هدفهم الوحيد في الحياة هو أن يُسعدوا أنفسهم ، هم عادة الأكثر أنانيّة ، والمتمركزون حل ذواتهم والأكثر تعاسة في الحياة. إن يسوع قد علّم أنّه توجد بعض الأشياء في الحياة أكثر أهميّة من السعادة ، إنّه الشرف والصدق والعدالة والإخلاص والولاء والبذل أي **ملكوت اللّه**. قد تكون السعادة هي الخير الأعظم للأبيقوري الذي يبحث عن اللذة ، ولكن بالتأكيد ليس الأمر هكذا بالنسبة إلى المسيحيّ ، فماذا يكون إذن الخير الأعظم ؟

هل هو الممتلكات ؟

كثير من الناس يعتبرون أن الخير الأعظم في الحياة إنما هو وفرة الممتلكات الماديّة. قال شخص لصديق له يقود سيّارة فخمة جاجوار **Jaguar** :

«أنت متألّق هذه الأيام» ،

فأجابه الصديق الغني بكلّ جديّة: «لماذا ؟ إنّ اللّه الذي أعطاني هذه السيّارة الجاجوار ، يريد أن يكون لأولاده أفضل الأشياء». فأجابه الصديق: «أنت تعلم أنّه شيء ممتع أن يعطي اللّه سيارة جاجوار ، لأنّه سبَقَ وأعطى إبنه الوحيد صليباً ، وأعطى تلميذه الأوّل والأفضل أن يُسجن وأن يُرجَم وأن تنكسر به السفينة وأن تُقطع رأسه ، ومجموعة من الآلام الأخرى».

إنّ المسيحيّ الحقيقيّ الذي يحبّ اللّه يعتبر أنّ الممتلكات الماديّة هي عطايا يلزم أن نستخدمها كوكلاء لمجد اللّه العظيم ، ولكنّها بالتأكيد ليست هي الخير الأعظم في الحياة. فماذا إذن يكون الخير الأعظم ؟

هل هو الحياة ؟

يوجد مَنْ يعيش بالمَثَل المأثور أنّ الحياة هي الخير الأعظم ؟ والقيمة الفائقة للوجود ، فيكون كلّ ما يُطيل الحياة هو الخير وكل ما ينقصها ويؤدّي بها إلى الموت هو الشرّ ، ولكن بالنسبة للمسيحي ، فإن القيمة الفائقة والخير الأعظم ليس هو الحياة التي نشترك فيها مع الحيوانات ، أي الحياة البيولوجيّة *Bios* ، ولكن هي الحياة التي نشترك فيها مع اللّه *Zoe* ، الحياة الروحيّة التي تفتح نفسها لتَتَقَبّل الروح القدس ، الحياة التي ترتفع إلى اللّه. إن الحياة البيولوجيّة ، الحياة الحيوانيّة ، الحياة التي بدون اللّه تنتهي إلى القبر والجحيم ، أمّا الحياة الروحيّة التي تحيا وتنشط وتقوى وتستنشق الروح القدس ، فإنّها ترتفع إلى السماء لتقضي الأبديّة مع الله. إنّ مجرّد الحياة الطبيعيّة فقط ليست هي الخير الأعظم ، فماذا إذاً يكون الخير الأعظم ؟

هل هو الحب الرومانسي ؟

إنّ الخير الأعظم لبعض النّاس اليوم هو الحبّ الرومانسي ، إنك تسمع الناس يقولون: «إنّني لم أعرف الحبّ من قَبل ، مع أنّني متزوّج منذ ١٠ سنوات. إنّنا نحب بعضنا بعضاً ، أليس هذا صواباً ؟ هل كنتُ على خطأ طوال السنين الماضية من قبل أن أعرف ماذا يكون الحبّ الحقيقيّ ؟ إننا نسمع المتطفّلين في المجتمع والمرائين يدينوننا ، ولكنّنا نعرف ما لا يعرفونه ، إنّنا نعرف كيف نحب بعضنا بعضاً !».

هذا هو نوع الأنانيّة غير المسؤولة المتنكّرة تحت إدّعاء الحبّ ، والمتسبّبة في تحطيم عُرى الأسرة ، وفي تحطيم أولادنا اليوم. إنّ القانون يعاقب الوالدين الذين يُسبّبون إيذاءً جسدياً لأولادهم ، ولكن أردأ نوع من الإيذاء الجسدي للأولاد ينتج بسبب والدين غير أوفياء ، يُمزّقون الأولاد إرباً ، عند دخول طرف آخر وسط العائلة (خليلة للأب أو صديق للأم). أليس هذا شيء يدعو إلى الرثاء والأسف إنّ مثل هذه الأنانيّة غير المسؤولة والمتخفيّة تحت قناع الحبّ ، تُصبح بالنسبة لكثيرين هي الخير الأسمى في الحياة ؟!

هل هو السلام ؟

والخير الأعظم في الحياة للبعض الآخر يكون هو السلام. لقد كتب **رابي يهودي** موهوب كتاباً تحت عنوان: «**سلام الفكر**» ، وقرأه ملايين من الذين يحاولون أن يجدوا بحسب الظاهر ما لا يملكونه. إنّ محتوى الكتاب كلّه مبنيّ على إفتراض أنّ سلام الفكر هو أهم شيء في الحياة ، الخير الأساسي ، هدف وكمال الوجود البشري ، ويقتبس المؤلّف باستحسان قطعة شعريّة قديمة تقول: «**فضْ على الآخرين بعطايا الغنى ، ولكن إمنحني عطيّة القلب الهَاديء**».

والآن أليس في كل مكان في الكتاب المقدّس نجد أن السلام هو الخير الأساسي ، هدف وكمال الوجود. إنّ السلام باستمرار هو ناتج ثانوي ، ثمرٌ لشيء. يكتب بولس الرسول: «إذ قد تبرّرنا بالإيمان لنا سلامٌ مع اللّه» (رو٥:١). إنّ السلام هو نتاج التصالح مع اللّه ، لا يمكن أن يوجد سلام للفكر إلى أن يوجد سلام مع اللّه. إنّ اللّه يُعدُّنا للمجد. إن هدفه ليس أن يجعلنا سعداء أو في سلام ، ولكن أنْ يجعلنا مقدّسين حتى نتمكّن من مشاركته في مجده.

يكتب الرسول بولس: «إنّ آلام الزمان الحاضر لا تُقاس بالمجد العتيد أن يُستعلن فينا». إنّ اللّه يُعدُّ أولئك الذين يحبّونه للمجد ، وهو يستخدم كلّ أحداث الحياة لتجعلهم مستعدّين. يقول **أونامونو** ***Unamuno*** : «قد يُنكر اللّه عليك السلام ولكنه يعطيك المجد» . لذلك فإنّ السلام الذي هو نتاج ثانوي لمصالحتنا مع اللّه وثمرة الروح القدس فينا ، إنما هو في الحقيقة عطيّة عظيمة ، ولكنّه ليس هو الشيء المهم الفائق والخير الأعظم في الحياة.

هل هو هذا العالم ؟

وأخيراً ، فإنّه يوجد أولئك الذين يعتبرون هذا العالم أنّه هو الخير الأعظم. إن يسوع ألمح إلى هؤلاء الناس عندما قال: «ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كلّـه ...» إنّ هذا العالم ليس إلاّ ممراً (معبراً) للمسافرين إلى الحياة الحقيقيّة الآتية ، وهو ليس بهذه الدرجة من الأهميّة ، وليس بذي أهميّة كبرى نوع الأشياء الموجودة في هذه الطُرق ، أو كيف حال تجهيزها ، فالإنسان يُسرع ليعبُر من خلالها ليجد المكان الذي وراء هذه الطُرق وما بعدها.

ليس لمتعتنا وإنما لخيرنا ؟

نعود مرّة أخرى إلى الآية التي هي محور تأمّلنا: «إنّنا نعلم أن اللّه يعمل في كلّ الأشياء للخير لأولئك الذين يحبّونه ..». لاحظ أن القديس بولس لا يقول: إنّ اللّه لم يقل إنّه يعمل لأجل المتعة أو لأجل الصحة أو لأجل الرفاهيّة أو لأجل حياة طويلة أو لأجل حبّ رومانسي أو لأجل مزيد من الأشياء الماديّة العالميّة ، إنّه يقول: إنّ اللّه يعمل للخير. إنّه مثل الطبيب الذي لا يعطينا الدواء لأجل أن يجعلنا سعداء ولكن لأجل أن نشفى. والآن تصوَّر نفسك وأنت تسأل عن طبيب: «**هل يجعلك في صحّة طيّبة ؟**». فيجيب واحد: «ليس كذلك ، ولكنّه يجعلك تضحك كثيراً ، إنّه مرحٌ للغاية ، إنّه يحكي ألذّ النُكت ويعطيك دواء مذاقه كالحلوى والسكّر». هل تذهب إلى مثل هذا الطبيب ؟ لا أظنّ ! إنّك سوف تذهب إلى طبيب غايته الأساسيّة هو خيرك وشفاؤك التّام. قد يُوجع الدواء أو العلاج أحياناً ، ولكنّك تعلم أن ذلك جيّد بسبب الشفاء الذي يؤدّي إليه.

هل التألّم رديء ؟

قال حكيم ذات مرّة : «عندما يتألّم الإنسان أو يتعذّب ، فإنّه لا يجب عليه أن يقول: هذا رديء ! هذا رديء ! لأنّه لا يوجد شيء رديء يفرضه اللّه على الإنسان ، ولكن من الجيّد أن يقول: (إنّه مرّ !) ، لأنّه توجد أنواع من الأدوية تُصنع من الأعشاب المرّة».

الإنجذاب إلى اللّه والقربى منه ؟

فاللّه إذاً ليس هو خيّراً فقط إن أعطاني النجاح أو الأمان أو السرور أو السعادة أو الأشياء الماديّة أو السلام أو المركز أو المرتبة أو القوّة أو النفع أو الفيض والغنى أو الطموح ، كلاّ! فإنّه قد لا يُعطيني هذه الأشياء ، وقد يسمح أن أُعاني من المرض أو الألم أو يختبرني بفقدان كلّ شيء ، ولكنه يظلّ صالحاً وخيّراً ، ولا يزال يعمل لأجل خيري النهائي. إنّه يعمل ما يعمل لأجل غرض ، غرض خيّر كريم ، لقصد أن يجذبني إليه وأكون أكثر قرباً منه ، **لأنّني إن أخذته ، فقد أخذت كلّ شيء ، وقد حصلت على أفضل شيء ، لأنّه هو فقط أعظم خير في الحياة.** ■

القديسة بربارة

تأليف القديس سمعان المترجم

تعريب الأب أفرام كرياكوس

منشورات النور

تمهيد :

بربارة أعطتنا مثالاً كسائر الشهداء والشهيدات على أنّ محبّتنا للمسيح تستطيع أن تفوق اللحم والدم وكلّ رباط أرضي. أبوها إستشهدها فشهدت لأنّها أحبّت ربّها على أبيها. الإيمان بالمسيح يسوع أقوى من كلّ ما يتحكّم بنا من ضعف.

جديرٌ بنا أن نفهم أنّ القداسة وحدها هي التي تجعل المسيح ذا معنى لكلّ نفس. والقداسة ليست حدثاً ماضياً ويجب أن لا يبقى كذلك. إنّها صرخة تنادينا الآن لكي ننقطع للمسيح ، ليس في البريّة وقد لا يكون في شهادة الدمّ. بل لننقطع للمسيح في كلّ ظرف من هذه الحياة.

اللّه يريد أن يلدنا في الكنيسة من أجل القداسة. فإذا كانت إرادته فعّالة دائمة حتى منتهى الدهر ، حتى إنقضاء الأجيال، فاللّه ينتظر منّا اليوم قداسة تُضاهي تلك التي عاش بها **الدمشقي وبربارة**. وهذا يعني أنّ القداسة ليست نقلاً للجبال وليست إسقاطاً للنجوم. القداسة هي شيء واحد أحد ، أن يعتبر الإنسان نفسه خصيص اللّه ، مفروزاً له ، غير متعلّق بسواه.

نحن سالكون درب القداسة إنّ قرّرنا في ذواتنا على مستوى الأعماق أنّنا طلاب اللّه وحده دون سواه.

+ المطران جورج خضر

نشأتها:

عاشت الشهيدة العظيمة بربارة في أيّام الملك الطاغي **مكسيميانوس** (٢٨٤–٣٠٥) وهي من مدينة إيليوبُليس أي مدينة الشمس. كان والدها ديوسقورس غنيّاً وحاكماً في تلك المدينة يسكن في بلدة جلّسون التي تبعد ٢٢٠٠ متراً عن إيليوبُلس.

كانت بربارة إبنة وحيدة لأبيها جميلة الطلعة والتربية. يفتخر أهلها بحسُن أخلاقها. وبسبب صغَر سنّها وجمالها أرادوا أن يحفظوها من أنظار العالم. فبنوا برجاً عالياً وحجزوها فيه ، تُعطَى كلّ ما تحتاجه من أطعمة وألبسة ووسائل أخرى للراحة دون أن يراها أحد.

عندما بلغت الفتاة سنّها القانوني تقدّم من أبيها الكثيرون من أشراف المدينة الذين وصلهم صيتها ، طالبين الزواج منها. ولم يرد الأب أن يعد أحداً منهم قبل أن يحصل على موافقة إبنته بربارة. صَعَدَ يوماً إلى البرج وسألها إن كانت ترغب في الزواج. لكنّها ، قبلَ أن يُنهي كلامه ، أجابته غاضبة: «لا أريد أن أسمع شيئاً عن هذا الموضوع وإلاّ اضطررتني إلى قتل نفسي وخسرتَ هكذا إبنتك». سمع أبوها هذا الجواب ولم يشأ مضايقتها أكثر لأنّه كان يعلم أنها لم تكن تخالفه بعد في الرأي ولكنّها كانت تُبدي رغبة في البقاء عذراء. فنزل من البرج دون أن يوجّه لها كلاماً قاسياً ، لكنّه كان يرجو إقناعها بالزواج في وقتٍ لاحق.

علامات الثالوث: إشارة الصليب :

في تلك الأيام قرّر ديوسقورس أن يبني خارج البرج حماماً جميلاً جداً. فوضع له التخطيط وأرشد الفنيين إلى ما يلزم لبنائه واعداً إيّاهم بالمكافأة إذا هُم أتقنوا البناء وتجميله ، ثمّ غادر بلدته وذهب إلى مكان آخر كان له فيه عملٌ. ولمّا تأخّر في العودة ، نزلت بربارة من البرج وذهبت تتفقّد الحمام القريب. وكان من المنتظر أن تُفتَح فيه نافذتان فقط. سألت بربارة البنّائين: لمَ لا يُصار إلى فتح نافذة ثالثة من الجهة الجنوبيّةَ حتى يتلقى الحمّام إنارة كافية (وكانت تُريد بالنوافذ الثلاث إشارةً إلى الثالوث المقدّس). فأجابها البنّاؤون أن هذه هي مشيئة أبيها. فقالت لهم عند ذلك: أضيفوا نافذة ثالثة وعليَّ الجواب لأبي إن سأل عن الموضوع. رتّب إذاً البنّاؤون النوافذ الثلاث حسب ما طلبت بربارة. وكانت تنزل من وقت إلى آخر تتفقّد البناء فرأت بعد فترة النوافذ الثلاث ففرحت جداً. إنّ اللّه الرحوم والكلّي الصلاح ، الذي يعلم الأمور قبل حدوثها ، كان يُسَرّ برأي بربارة ويُنير قلبها بطريقة عجيبة : مُفعماً إيّاه بنعمة الروح القدس ، ومانحاً إيّاها دالةً أمام الإله الحقيقيّ ربّنا يسوع المسيح.

القديسة بربارة العظيمة في الشهيدات ، وهي تؤشر نحو الحمّام ونوافذه الثلاث ، خلفها القديسة يوليانا

وقفت مرّة في بركة الحمّام تطلّعت إلى الشرق راسمةً بإصبعها علامة الصليب الإلهيّ على المرمر. فيا للعجب! وكأنّ إصبعها صارت آلة حديديّة حفرت خطوطاً عميقة منحوتة في المرمر. فظهرت علامة الصليب وما زالت إلى اليوم تشهد لعجيبة الربّ إلهنا وقوّته. لا الصليب وحده بل الحمّام نفسه باقٍ إلى اليوم. (أي زمن تأليف هذه السيرة، حيث عاش القديس سمعان المترجم في القرن التاسع ميلادي). يصنع عجائب عديدة ويشفي المرضى الآتين إليه بإيمان. هذا الحمّام هو بمثابة مجاري الإردن أو بركة سلوام أو البركة الغنميّة لأنّ قوّة اللّه حقّقت فيه عجائب كثيرة مدهشة.

وفي يوم من الأيام بينما كانت بربارة عائدة من الحمّام لاحظت الأصنام التي كان أبوها يسجد لها. فتنهّدت من أعماق النفس لعماه وعدم إحساسه. ثمّ بصقت عليها وقالت: «ليكن على شبهكم كل مَن يسجد لكم ويطلب عونكم». قالت هذا ودخلت إلى البرج وبقيت فيه صائمة ، مصليّة ، منتظرة العون من السماء. وبعد أيّام قليلة عاد ديوسقورس فرأى النافذة الثالثة ، فتحيّر كيف فُتحت بدون أمره. فأخبره الفنيّون بما حصل حقيقةً. فسأل إبنته عند ذلك فقالت له: «أنا التي أمرت بفتحها لأنّ الحمّام هكذا يصبح أجمل».

فغضب وقال: «لماذا يبدو لك أجمل ؟».

فقالت بربارة: «إنّ النوافذ الثلاث تضيء كلّ إنسان آتٍ إلى العالم» وكانت تقصد الثالوث القدّوس وعظمته.

فازداد غضب أبيها الذي اقتادها إلى الحمّام وقال لها: «كيف يمكن للنور الآتي من النوافذ الثلاث أن يضيء كلّ إنسان ؟».

فأجابت بربارة: «إليك السبب» قالت هذا ورسمت إشارة الصليب بأصابعها الثلاث قائلة: «الآب والإبن والروح القدس. بهذا النّور تستنير الخليقة بأسرها عقلياً».

هذا الكلام الحقّ لم يكن ليرضي أباها الذي كان يسجد عادة للأصنام الباطلة بل جعله أكثر وحشيّة. فانتصب ذلك الإنسان الملحد القاسي القلب ناسياً أبوّته ونواميس اللّه وشَهَرَ سيفه وهمّ بقتل إبنته. لكن هذه تجنّبت الخطر وهربت إلى جبل قريب حيث وقفت ورفعت يديها وعينيها وفكرها إلى السماء طالبة العون من اللّه. فاستجاب لها اللّه سريعاً كما فعل مع **الشهيدة الأولى تقلا** ، فاقتبلتها صخرة في الجبل انشقّت إلى قسمين بفعل إلهي لكي تخفيها عن أنظار أبيها الدمويّ.

لكن هذا الإنسان المتحجّر ، لم ينثَنِ عزمه ، حتى عند غياب بربارة من أمام وجهه. أخذ يركض هنا وهناك. مثل الشيطان الباحث عن كلّ طريقة لإهلاك البَشر. رأى أمامه راعيين مع خرافهما ، فسألهما إن كانا يعلمان أين ذهبت بربارة. كان الأوّل عطوفاً ، مُحبّاً ولم يشأ أن يسلّم الشهيدة ، فأنكر قائلاً: إنّني لم أرها، إختار الكذب خلاصاً ، بدلاً من الحقيقة المهلكة. أما الآخر ، وكان ماكراً فاقد الإحساس بالمحبّة ، فلم يتكلّم ، لكنّه إومأ بإصبعه إلى الجهة التي فرّت منها الشهيدة. لكنّ مشيئة اللّه أدانته للحال ، إذ إنّ خرافه تحوّلت إلى جعلان (نوع من الحشرات) وبقيت هكذا إلى النهاية ، تحوط بقبر القديسة.

الشهيدة بربارة ، ومراحل عذاباتها وجهاداتها من أجل محبّتها للمسيح

عذابـــاتـــها :

أخيراً عندما وجد ديوسقورس إبنته على الجبل ، ضربها بدون شفقة ثمّ أمسكها بجدائل شعرها ، وجرّها بقوّة إلى بيته. هناك أقفل عليها في غرفة صغيرة ووضع حرّاساً على باب الغرفة. ثمّ ذهب إلى **الحاكم مركيانوس** ، وقال له: «إنّ إبنتي تزدري آلهتنا ولا تحترم إلاّ يسوع المسيح المصلوب ، وتكرّمه من كلّ نفسها». بعدها جاء بإبنته ، وسلّمها إلى مركيانوس وأقسَم عليه بألاّ يشفق عليها أبداً ، بل يذيقها أمرّ العذابات وأقساها.

جلس مركيانوس على كرسيّ القضاء وأمرَ أن يأتوا بالشهيدة لتمثل أمامه. ولما رآها إندهش من جمالها البارز وخُلقها الوقور فنسي للوقت قسمَ ديوسقورس ، وقال بصوت ناعم وبوداعة: «ألا تشفقين على نفسك يا بربارة ؟ لماذا لا تقدّمين الذبائح للألهة التي يعبدها أهلك ؟ أنا أحزن لإماتة شابّة تتمتّع بمثل هذا الجمال. لذلك أرشدُك إلى طاعة كلماتي وإلى السجود للآلهة وإلاّ اضطررتُ إلى إماتَتك بأبشع الوسائل».

أجابته الشهيدة: «أنا أقدّم ذبيحة التسبيح لإلهي الذي صنع السماء والأرض والخليقة كلّها. أما الآلهة التي تعبدها ، فهي من ذهب وفضّة ، صُنع أيدي النّاس ، وشياطين الأمم».

سمع القاضي هذا الكلام ، فغضب للحال وأمرَ بأنّ تُعرّى من ثيابها وتُضرب بدون رحمة بقضبان قاسية. وأن تُحفّ جروحها بخرق من شعر ، لكي تزداد أوجاعها. وهكذا جُلدت القديسة بطريقة وحشيّة حتى تجرّح جسمها كلّه ، وسال دمها الطاهر على الأرض التي كانت مرميّة عليها.

وبعد عذاب طويل وُضعت في السجن بصورة مؤقّتة إلى أن يُفحص أمرها ثانيةً. وفي نصف الليل تقريباً ظهر لها فجأة نورٌ بهيّ أنار المحبس برمّته. وفوق النور المسيح السيّد الذي شجّعها قائلاً: «لا تخافي أبداً يا بربارة ولا تهتمّي للعذابات وعقابات الناس القُساة القلوب. بل ظلّي هكذا ثابتة في موقفك. أنا سوف أكون دائماً إلى جانبك أحفظك تحت جناحي». قال لها المسيح هذا الكلام واختفت للحال جراحاتها . وشفي جسمها شفاءً تاماً. فشعرت ببهجة كبيرة ، وأحسّت بشكر للّه عميق. وحدث أن رأتها في تلك الحال إمرأة تقيّة فاضلة إسمها **يوليانى** ، شهدت العجيبة ومجّدت اللّه من كلّ قلبها. وبما أنها كانت تُشارك الشهيدة في موقفها فقد قرّرت هي أيضاً أن تواجه كلّ العذابات والعقوبات من أجل إسم المسيح ومحبّته.

هكذا ، والشهيدة على هذه الحال ، أمر الحاكم مرّة ثانية بأن يؤتى ببربارة أمامه ، فرآها الحاضرون معافاة تماماً، لا أثر للجراح على جسمها ، فاندهشوا للغاية. لكن الحاكم الملحد الذي أعماه ضلاله ، لم يرد أن يعترف بقدرة اللّه الحقيقيّ. فقال الجاهل للشهيدة: «أنظري يا بربارة إلى قدرة آلهتي التي ترحّمت عليك وشَفَتك من جراحك». فأجابته: «إنّ آلهتك عمياء وعديمة القدرة على شبهك فكيف يمكن لها أن تصنع مثل هذه العجائب ؟ إنّها

بالعكس بحاجة إلى معونة البشر. لا ، ليست آلهتك التي شفتني ، بل المسيح ابن اللّه الحيّ ، هذا الذي لا تستطيع أن تنظر إليه لأنّ عينيك مثقلتان بظلام الإلحاد».

سمع الحاكم هذا الكلام ، فسخط جداً وأمر بأن تُطعن بربارة برماح حديديّة وبأن تُحرق أعضاؤها بمشاعل مُضاءة وبأن يُضرب رأسها بمطرقة.

وصدف للتقيّة يوليانى أن تشهد العذابات التي تعانيها الشهيدة ، والدمّ يتفجّر من رأسها ومن بقيّة جسدها دون أن تستطيع مساعدتها. لكنّها تأثّرت في نفسها إلى حدّ أنها أخذت تبكي بمرارة. فرآها الحاكم فسأل عن هويّتها وعلم أنّها هي أيضاً مسيحيّة تبكي عطفاً على بربارة. فأمر بأن تعلّق للحال إلى جانب الشهيدة وبأن يمزّق جلدها ويُحرق بمشاعل مضاءة. فعُذّبت هي أيضاً بقساوة وتوجّعت جداً. لكنّها رفعت عينيها إلى السماء وقالت: «أيها المسيح السيّد والملك العارف ما في القلوب والكليّ القدرة ، أنت تعلم أنني أتألّم محبّة بك. لذلك لا تدعْ هذا الإنسان يغلبني ويفتخر عليّ ، بل أهّلني أن أصمد حتى النهاية لكي أنال إكليل الشهادة».

وبينما يوليانى تبتهل إلى اللّه ، أمر الحاكم القاسي القلب بأن يُقطعَ ثديا كلٌ منهما. رغم هذا لم يتبدّل موقفهما بل على العكس أخذت الشهيدة العظيمة بربارة ترتّل قائلة: «يا رب لا تصرف وجهك عنّا وروحك القدّوس لا تنزعه منّا» (مز٥٠:١٣-١٤). وبعدما نُفّذ فيهما العذاب الرهيب ، أمر الحاكم بأن توضع يوليانى في السجن وبأن تُقاد بربارة عارية في المدينة وهي تُضرَب بلا شفقة. لكن هذه الأخيرة إذ أصبحت مشهداً للناس إلى جانب الضرب ، لم تتأثّر ولم تحزن لهذه العذابات بل رفعت عينيها إلى السماء وقالت: «أيّها السيّد الذي وشّح السماء بالغيوم ولفّ الأرض بالضباب أنت يا ملك الدهور أستر عريتي ولا تدع الخطأة يرون أعضائي حتى لا يهزؤوا ويسخروا مني».

سمع اللّه من هيكل قدسه وأسرع لنصرة الشهيدة المتألّمة. ظهر أمامها جالساً على مركبة الشاروبيم. فامتلأ قلبها بهجة وسروراً بحضوره البهيج. أما جسدها ، وبناءً لأمره ، فألبسه الملائكة القديسون حلّةً بيضاء مجيدة. ولم يكتف الربّ بذلك بل داوى جراحها كما حصل في السابق. وعندما أحضرها الخدّام أمام الحاكم رآها هذا الأخير ترتدي الحلّة البهيّة فخجل وعرف أنّه لن يستطيع بعد أن يغلبها بالتهديدات والعذابات ولا بوعود الصالحات والغنى فقرّر أن يميتها مع يوليانى. فأمر بقطع رأسيهما.

إستشهادها :

حضَر ديوسقورس التعذيبات التي أُخضعت إليها الشهيدة بربارة دون أن يشفق عليها. لم يحزن من أجل إبنته ولم تَروه العذابات التي عانتها بل كان هذا الجاهل يعتقد أنّه سوف يُعتبر جبانَاً وضعيف النفس إن لم يقتلها بنفسه. لذلك ما إن حكم القاضي بالموت حتى اختطفها أبوها كالنمر المفترس ليميتها بيديه فيما جلاّد آخر إقتاد يوليانى وذهبا بالشهيدتين إلى الجبل ينفّذان بهما حكم الموت. وفيما الشهيدتان سائرتان إلى مركز القضاء لم تُبدِيا حزناً بل أخذتا تتهللان فرحاً وكأنهما ذاهبتان إلى عرس أو إلى نزهة ممتعة.

كانت القديسة بربارة تبتهل إلى الربّ قائلة: «**أيها الربّ الإله غير المبتدىء ، الصانع السماء كالخيمة ، المؤسّس الأرض على المياه ، الذي أمر الشمس بأن تضيء العالم كلّه ، والغيوم بالمطر ، المانح مثل هذه الصالحات للصدّيقين وللخطأة المحسن إلى الصالحين والأشرار غير الحقود والكليّ الصلاح أنت أيها الملك الجوّاد إستمع إلى أَمَتك المتوسّلة إليك. نعم إنّي أطلب إليك. من كلّ قلبي أن تمنح كلّ مَن يذكَر إستشهادي هذا من أجل مجد إسمك القدّوس ألاّ يعبر بيته أي مرض فتّاك يحزنه ويحزن عائلته. أنت العارف أمراض البشر الذين ارتضيت وجبلتهم على صورتك ومثالك**».

بينما كانت القديسة تصلّي هكذا سُمع من السماء صوتٌ يناديها ويوليانى إلى البهجة الأبديّة التي لا توصف ويَعدها بتحقيق كلّ ما كانت تطلبه. سمعت الشهيدة بربارة هذا الصوت فازدادت شجاعتها وأسرعت إلى مكان تنفيذ الحكم فأحنت هناك رأسها **(لأبيها!)** وقبلت الإستشهاد. قطع أبوها الدمويّ الفاقد الحسّ رأسها كما قطع الجلاّد رأس يوليانى ، وكان ذلك **سنة ٢٩٠م**.

لكن القضاء الإلهي الساهر دائماً عاقب للحال ذلك الإنسان الدمويّ الملحد بصورة نموذجيّة إذ أنّه ما أن نزل من الجبل حيث نفّذ جريمته حتى سقطت صاعقة من السماء وأحرقته حتى لم يبقَ من جسمه أثر. هكذا فقد ذلك الإنسان المرذول الحياتين الحاضرة والمستقبلة لأنّه لم يستحق واحدة منهما. ولم يكتف الغضب الإلهي بمعاقبة ديوسقورس بل لحق أيضاً بالحاكم مركيانوس الذي أصابته الصاعقة نفسها كعلامة سابقة للنار الأبديّة المعدّة لهم.

وقد تسلّم رجل مسيحيّ إسمه **أولنتينوس** جسدَي الشهيدتين الشريفتين ونقلهما بمزامير وترانيم إلى قرية جلّسون حيث دفنهما بوقار. ليكن استشهادهما منبع شفاء للأمراض وبهجة للنفوس وغذاءً منعشاً لمحبّي اللّه. وليكنْ لمجد المسيح إلهنا الحقيقي الذي ينبغي له كلّ مجد وإكرام وتقدير وتعظيم الآن وكلّ أوان وإلى دهر الداهرين آمين.

الأقنعة والقمح المسلوق:

في مصادر أخرى لحياة القديسة بربارة يُذكر أنها رأت وهي تصلّي يسوع بهيئة طفل جميل الطلعة. ولكنّه ما لبث أن تحوّل وتشوّه منظره بالآلام. ولذلك في عيد القديسة بربارة يلبس الأطفال الأقنعة إشارة إلى رؤية بربارة للمسيح الطفل وقد شوّه الألم منظره. ونعترف هكذا **بأنّ خطيئتنا قد شوّهت براءة طفولتنا**.

وكذلك يُذكر أيضاً أنّ القديسة بربارة ، إذ كانت هاربة في البريّة من وجه أبيها ، أبصرت رعاةً يسلقون قمحاً في مغارة فطلبت منهم شيئاً من القمح. لذلك نحن نجتمع في عيدها ونتناول معاً القمح المسلوق تذكاراً لها. **إنّ القمح المسلوق في تراث كنيستنا رمزٌ للقيامة**.

العمل

للقديس باسيليوس الكبير رئيس أساقفة كبادوكية

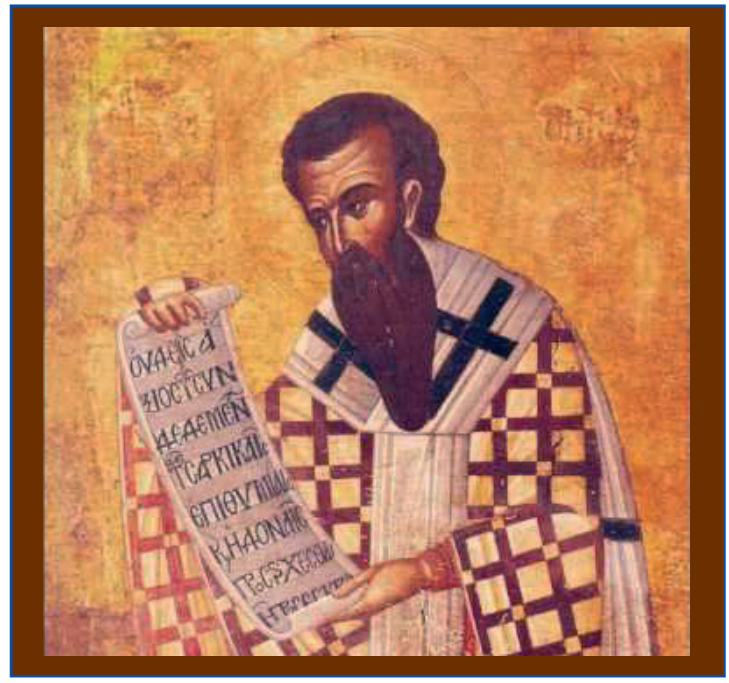

١ ـ هل يلزم العمل:

بما أنّ ربّنا يسوع المسيح قال: «مستحق أجرته ـ ليس كل واحد على الإطلاق وكيفَما إتّفق بل الفاعل فقط» (متى ١٠:١٠)، والرسول بولس أمَرَ أن «نتعب ونعمل بأيدينا ما هو صالح لكي يكون لنا ما نشرك به المحتاج فيه» (أفسس ٤:٢٨). فيتّضح من ثمّ أنّه يجب علينا أن نعمل باجتهاد ، لأنّه لا يسوغ لنا أن نتّخذ العبادة حجّة للبطالة والهرَب من النَصَب (التعب أو الجهد). بل علينا أن نجعلها موضوعاً للجهاد والأتعاب الجمّة والصبر على المضايق لكي يتهيّأ لنا نحن أيضاً أن نقول: «كنّا في التعب والكدّ والأسهار الكثيرة والجوع والعطش» (٢كو١١:٢٧). ومثل هذا المنهج ينفع لا لإماتة الجسد فقط بل لممارسة محبّة القريب أيضاً: لكي يسعف اللّه الأخوة المحتاجين ويقدّم لهم الكفاف على أيدينا بموجب ما علّمه الرسول في سفر الأعمال بقوله: «في كلّ شيء بيّنت لكم كيف ينبغي أن نتعب بأيدينا لنساعد الضعفاء» (أعمال ٢٠:٣٥) ، وأيضاً: «لكي يكون لكم ما تُشركون المحتاج فيه» (أفسس ٤:٢٨). وهكذا تستحق أن تسمع قوله عزّ وجلّ «تعالوا يا مباركي أبي رثو المُلك المُعدّ لكم منذ إنشاء العالم ، لأنّي جعت فأطعمتموني وعطشت فسقيتموني ...» (متى٢٥:٣٤).

وما بي حاجة أن أصف لكم جسامة شرّ البطالة في حين أنّ الرسول وصّى صريحاً بأنّه: «إن كان أحدٌ لا يشتغل فلا يأكل» (٢تس٣:١٠)، فكما أنّ القوت اليومي ضروري لكلّ إنسان كذلك ضروري له الكدّ بحسب طاقته. إنّ النبي سليمان لم يكتب عبثاً في مديح المرأة النشيطة: «إنّها لم تأكل خبز الكسل» (أمثال٣١:٢٧) ، والرسول بولس قال أيضاً عن نفسه: «إنّنا لم نأكل خبز أحد مجاناً بل اشتغلنا بالتعب والكدّ ليلاً ونهاراً» (٢تس٣:٨). مع أنّه كان له «السلطان كمبشّر بالإنجيل أن يعيش من الإنجيل» (١كو٩:٣و١٤) بل إنّ الربّ يسوع المسيح قد جمع بين الكسل والشرّ إذ قال: «أيّها العبد الشرّير الكسلان» (متى ٢٥:٢٦)، على أنّ سليمان الحكيم لم يثن فقط على العامل فقط بما ذكرنا (أمثال ٣١:٢٧) بل وبّخ الكسلان إذ شبّهه بأدنى الحيوانات قائلاً: «إذهب إلى النملة أيّها الكسلان» (أمثال ٦:٦). ولذا يجب أن نخشى من أن نُوَبّخ نحن كذلك في يوم الدينونة لأنّ الذي خوّلنا القدرة على العمل يطلب منّا أعمالاً تناسب قدرتنا هذه. فإنّه قال: «مَن أودِعَ كثيراً يُطالَب بأكثر» (لوقا١٢:٤٨).

يجب إذن علينا العمل قدر الإمكان لنتقاسم الموارد مع الذين يفتقرون إليها ... لا عُذر للمتكاسل الذي يعيش في البطالة بينما هو قادر على العمل. ليتشبّه بتلك الأسماك التي تقطع البحار بطريقة عجيبة طلباً للطعام ...

٢ ـ لا تخف من الإهتمام بحاجات الجسد:

إنّ النهي عن الإهتمام الزائد بحاجات جسدنا لا ينفي الإهتمام والعمل مطلقاً . فقد بقي علينا «أن نعمل لنفسنا لا للطعام الفاني بل للطعام الباقي للحياة الأبديّة» (يو٦:٢٧). وسيقول لنا الربّ في يوم الدين: «جعت فأطعمتموني وعطشت فسقيتموني» (متى٢٥: ٣٥) ، ويعدّ ما نفعله مع القريب كأنّه مفعول معه تعالى ويعطي عن ذلك الملكوت السماوي. وبعكس ذلك سيعاقب الذين لم يعملوا ولم يتعبوا ليساعدوا الضعفاء وليخدموا القريب (أعمال٢٠:٤) ويرسلهم إلى العذاب الأبدي. (متى٢٥:٤١). فالعمل إذاً إنطلاقاً من هذا المفهوم ينظّم بأحسن طريقة العلاقات المجتمعيّة ويضفي عليها جوّاً من التعاضد والإنسجام.

٣ ـ إنتبه لعملك:

على أنّ كلّ أحد يلتزم أن ينتبه لعمله الخصوصي ويهتمّ له برغبة ويتمّمه من دون ملامة بغيرة ونشاط وعناية وسهر لئلا يستحقّ اللعنة إذ قيل: «ملعون مَن عمل عَمَل الربّ باسترخاء» (ارميا ٤٨:١٠)، كما عليه أن يعمله على مرأى من اللّه ، وذلك لكي يتهيّأ له أن يقول بدالة كلّ حين: «كما أن عيون العبيد إلى أيدي مواليهم ، كذلك عيوننا إلى الربّ إلهنا» (مز١٢٢:٢) ويلتزم أيضاً أن لا ينتقل من شيء إلى آخر لأنّ طبيعتنا لا تقدر أن تقوم بأشغال كثيرة معاً. ولذا خيرٌ لنا أن نباشر عملاً واحداً بضبط وإحكام من أن نقوم بأعمال كثيرة من دون إتقان: لأنّ الإنقسام بين أشغال كثيرة والتنقّل في الأمور بحيث لا يُقضَى منها شيء دليل على خفّة متأصّلة في الطبع أو مدعاة لتولّد تلك الخفّة.

فضيلة الاحتمال

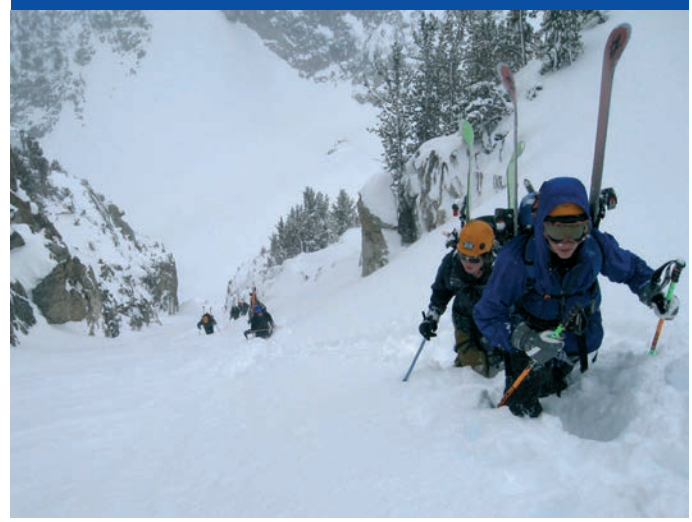

✚ - «وناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمّله يسوع. الذي من أجل السرور الموضوع أمامه إحتمل الصليب مستهيناً بالخزي فجلس في يمين عرش اللّه. فتفكّروا في الذي احتمل من الخطاة مقاومة لنفسه مثل هذه لئلا تكلّوا وتخوروا في نفوسكم» (عب ١٢:٢-٣).

إحتمل السيّد المسيح آلامه من أجلنا نحن الخطاة وليس من أجل نفسه ، فكم بالحري يليق بنا أن نقبلها من أجل نفوسنا.

✚ «إن كنتم تحتملون التأديب يعاملكم اللّه كالبنين ، فأي ابن لا يؤدّبه ابوه» (عب١٢:٧).

✚ «أطلب إليكم أيها الأخوة لئلا تُدانوا. هوذا الديّان واقفٌ قدّام الباب خذوا يا إخوتي مثالاً لإحتمال المشقّات والأناة: الأنبياء تكلّموا باسم الرب ها نحن نطوّب الصابرين. قد سمعتم بصبر أيّوب ورأيتم عاقبة الرب. لأنّ الرب كثير الرحمة ورؤوف» (يع: ٩-١١).

✚ «أيها الخدّام كونوا خاضعين بكل هيبة للسادة. ليس للصالحين المترفقين فقط بل للعنفاء أيضاً لأنّ هذا فضلٌ إن كان أحدٌ من أجل ضمير نحو اللّه. يحتمل أحزاناً متألماً بالظُلم لأن أي مجد هو إن كنتم تُلطَمون مخطئين فتصبرون ؟ بل إن كنتم تتألّمون عاملين الخير فتصبرون فهذا فضلٌ عند اللّه لأنّكم لهذا دُعيتم فإنّ المسيح أيضاً تألّم لأجلنا تاركاً لنا مثالاً لكي تتبعوا خطواته. الذي لم يفعل خطيّة ولا وُجدَ في فمه مَكرٌ. الذي إذا شُتمَ لم يكن يَشتمُ عوَضاً وإذا تألّم لم يكن يُهدّد. بل كان يُسلمُ لمن يقضي بعدل » (١ بط٢: ١٨-٢٣).

لا يليق بالمؤمن الحقيقي أن يفحص أعمال رؤسائه بل يحترمهم ويحبّهم حتى وإن كانوا عنفاء

✚ «غير مجازين عن شرٍّ بشر أو عن شتيمة بشتيمة بل بالعكس مباركين عالمين إنّكم لهذا دعيتم لكي ترثوا بركة » (١بط ٣:٩).

✚ «فمن يؤذيكم إن كنتم متمثّلين بالخير ؟ ولكن إن تألّمتم من أجل البرّ. فطوباكم وأما خوفهم فلا تخافوه ولا تضطربوا. بل قدّسوا الربّ الإله في قلوبكم مستعدّين دائماً لمجاوبة كل من يسألكم عن سبب الرجاء الذي فيكم بوداعة وخوف. ولكم ضمير صالح لكي يكون الذين يشتمون سيرتكم الصالحة في المسيح. يُخزَون في ما يفترون عليكم كفاعلي شرّ. لأنّ تألّمكم إن شاءت مشيئة اللّه وأنتم صانعون خيراً أفضل منه وأنتم صانعون شرّاً » (١بط ٣:١٣-١٧).

✚ «أيها الأحباء لا تستغربوا من البلّوى المُحرقَة التي بينكم حادثة لأجل إمتحانكم. كأنّه أصابكم أمرٌ غريب. بل كما اشتركتم في آلام المسيح. إفرحوا لكي تفرحوا في إستعلان مجده أيضاً مبتهجين. إن عُيّرتم بإسم المسيح. فطوبى لكم لأنّ روح المجد واللّه يحلّ عليكم. وأما من جهتهم فيجدّف عليه وأما من جهتكم فَيُمَجّد» (١بط ٤:١٢-١٤).

✚ «إصحوا واسهروا لأنّ إبليس خصمكم كأسد زائر. يجول ملتمساً مَن يبتلعه هو. فقاوموه راسخين في الإيمان. عالمين أن نفس هذه الآلام تجري على إخوتكم الذين في العالم. وإله كلّ نعمة الذي دعانا إلى مجده الأبدي في المسيح يسوع. بعدما تألّم يسيراً. هو يكلّمكم ويثبّتكم ويقوّيكم ويمكّنكم. له المجد والسلطان إلى أبد الآبدين أمين» (١بط ٥:٨-١١).

✚ «أنا عارف أعمالك وتعبك وصبرك وأنّك لا تقدر أن تحتمل الأشرار وقد جرّبت القائلين إنّهم رُسل وليسوا رُسلاً فوجدْتَهم كاذبين وقد احتملت ولك صبر وتعبت من أجل إسمي ولم تكلّ» (رؤ٢:٢-٣).

يقول الآباء عن ملاك هذه الكنيسة:

لقد تعذّبت نفسه من الرياء والكذب وتألّم كثيراً من الأنبياء الكذبة واحتمل بصبر وتعب ولم يكلّ وإن كان لم يقدر أن يغيّر منهم شيئاً وإن بدا أنّه غير قادر على إحتمال شرّهم لكن يكفيه أن قلبه كان متألّماً ومتوجّعاً على الشرّ رافضاً للخطيّة.

وقد جرّبت القائلين إنّهم رُسل ... وليسوا رُسلاً أي مخادعين فالخداع موجود من القرون الأولى في الكنيسة أي أنّ الإنسان يأخذ شكل الرُسل ولكن ليس هو كذلك. شكل التعليم ولكن ليس هو التعليم ... شكل الحياة الروحيّة ولكن ليست حياة روحيّة ... صورة التقوى ولكنّهم ينكرون قوّتها فوجدتهم كاذبين إذ هم خدّام للشيطان الكذّاب وأبو الكذّاب.

ولقد احتملتَ ولك صبر وتعبت من أجل إسمي ... تقريرٌ لذيذٌ جداً يذكّرنا بيعقوب الرسول «إنّ الصبر يكون له عمل تام لكي تكونوا تامّين وكاملين غير ناقصين في شيء».

هذه الفضيلة لابدّ أن تَكْمُل ، الإنسان في بعض الأحيان يشكو ويتذمّر في منتصف الطريق ، لكن (مَن يصبر إلى المنتهى فهذا يخلُص ...)

يتبع في العدد القادم

العهد القديم في الكتاب المقدّس (٣٦)

الفصل الرابع: يشوع والقضاة

أ - يشوع وامتلاك كنعان

كنعان في زمن يشوع:

كانت كنعان ممرّاً لقوافل التجّار ومعبراً للجيوش المتحاربة ، وسكن الأرض خليط من الشعوب ، ونزحت إليها قبائل من الشمال ، وسُمِّيَ سكانها بالكنعانيّين حيث كانوا هم السكّان في الأرض، وخاصّة في صور وصيدا مدنهم الرئيسيّة التي نزحوا منها إلى كنعان.

وبينما كان الكنعانيّون يستوطنون كنعان والأموريون يسكنون التلال المغطّاة بالغابات (عد١٣:٢٩ ، ١٠:٣٥) ، وبجانب الكنعانيين والأموريين يسجّل السفر خمسة شعوب أخرى كانت تسكن في كنعان هم: الحثّيّين ، والحوريّين ، والفرزيّين ، والجرجاشيّين ، واليبّوسيّين (تث٧:١ ؛ يش٣:١٠) ، وسكنت تلك الشعوب في مدن حصينة تحيطها الأسوار وتحرسها الحصون ، وكان من الشرق يسكن العمونيّون والموآبيّون وكان نهر الأردن يفصل بين تلك الشعوب المخيفة التي تستوطن كلا الجانبين.

وقد أظهرت الإكتشافات الحديثة وجود إمبراطوريّة كنعانيّة عظيمة سبقت دخول الإسرائيليين الأرض ، واكتشفت آثارها في **إيبلا (تل مرديخ)** ، وترجع إلى النصف الأخير من الألف الثالثة ق.م. وقد خضعت في الألف الثانية ق.م. تحت نفوذ مصر وأصبحت ولاية تابعة للدولة الحديثة (١٥٠٠–١٢٠٠ ق.م.) ، وبإكتشاف **مدينة أوغاريت القديمة (رأس شمرا)** وترجع إلى ما بين (١٤٠٠–١٢٠٠ ق.م.) ، وتقع أوغاريت بالقرب من ميناء اللاذقيّة على الساحل الشمالي لسوريا ، حيث كانت إحدى الحافلات تحرث أرضها فاصطدم المحراث بحجر كشَف عن مقبرة كبيرة كشفت عن قصر ملكي ضخم ، ومكتبة عظيمة ، وقامت بعثة فرنسيّة سنة ١٩٢٩م بدراسة المنطقة ، وزوّدنا هذا الكشف بمعلومات جديدة عن حياة الكنعانيين وحضارتهم وثقافتهم وعقائدهم وتلك الأمور لم نكن نعرف عنها شيئاً قبل ذلك إلا تلك المعلومات التي حدّثنا عنها الكتاب المقدّس ، وبذلك إستطعنا رسم صورة واضحة عن حياة هؤلاء الكنعانيين سكان الأرض الأصليين ، وفهمنا أن كنعان لم تكن إقليماً متجانساً بل كانت عدّة تجمّعات سكانيّة تعيش في مدن محصّنة كل منها له جيش ويحكمها ملك ، وكان بعض هذه المدن غنيّاً خاصة في الشمال وبعضها فقيراً ، وأحياناً كانت تنشب بينهم الحروب والنزاعات.

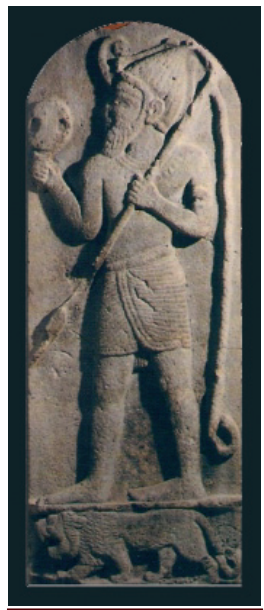

(البعل) إله الطقس

عشتاروت إله الخصوبة

على قطعة من الفخار ، في أوغريت وجدت أوّل أبجديّة في التاريخ ، وتحوي على ثلاثين حرفاً تبدأ من اليسار إلى اليمين

عقيدة الكنعانيين:

كان أشرّ ما في حياة الكنعانيين هو عبادتهم التي إقترنت ممارستها بتقديم الذبائح البشريّة مع أنواع أخرى من الشرّ مثل الزنى والسُكر بالخمر والمَجون ، وقد إنتشرت تلك العادات في كلّ من شرق وغرب الأردن ، وقد إكتشفت في مدينة عمّان (عاصمة المملكة الأردنيّة الهاشميّة) وهي أرض العمونيين أعداد كبيرة من بقايا عظام أطفال محروقة بالنّار قُدّمت للإله مولَك وكموش إله الموآبيين (١مل١١:٥) ، وقد إنتشرت في أرض كنعان تلك الذبائح التي حرّمها اللّه (لا١٨:٢١) ، وكانت تنتشر المذابح في الخلاء فيما يسمّى بالمرتفعات (تث ١٢:٣) ، وإكتشفت مذابح كنعانيّة متفرّقة في جازر وحاصور حيث كان يُعبد عدة آلهة أهمّها **(البعل)** إله الطقس فهو المسئول عن العواصف والمطر والرياح ، **(والعشتاروت)** ألهة الخصوبة (تث٢٠:١٧) ، **(وداجون)** إله الزراعة والمحاصيل خاصّة القمح حيث يشير إليه إسمه ، وقد كان هذا المعبود موجوداً قبل دخول الإسرائيليين الأرض.

ووسط هذه المعبودات الوثنيّة وذلك الإنحلال الأخلاقي الذي ساد على شعوب الأرض أمر اللّه يشوع بضرورة تطهير الأرض وأن يُبيد هذه الشعوب وأن يحرق مدنها بالنّار بسبب ما وصلت إليه من الفساد حيث إنتهت إلى نقطة اللاعودة ولا يمكن إصلاحها وقد صارت خطراً على الشعب الإسرائيلي بسبب صنوف التوحّش والرذيلة التي سادت عبادتها ، وبعد أن قضى الشعب أربعين سنة في البريّة يتدرّب في القداسة والسير مع اللّه ، كان لابدّ أن يقضي اللّه أولاً على هذه الشعوب حتى يسكن شعبه النقيّ أرضاً نقيّة بعيداً عن الإختلاط بسكان الأرض **المنحلّين والأشرار** ، وإن كنّا نرى فيما بعد أن تلك الشعوب ظلّت تُقيم في أجزاء من كنعان حتى عهد داود وسليمان بسبب تراخي الشعب في طردهم لإمتلاك الأرض فكان يجب على الشعب أن يطرد الكنعانيين من أمامهم كوعد اللّه لهم بإمتلاك الأرض (يش٣:١٠) ، وكان على الشعب أن لا ينسى تقرير الجواسيس عن الأرض أنّها تفيض لبناً وعسلاً ، فيها مجاري مياه وينابيع وعيون تنبض ، وتملأ الأودية والتلال. أرض طيّبة فيها القمح والشعير والكروم وأشجار التين والرمّان والزيّتون وشهد العسل (تث٨:٧– ١٩).

يتبع

تعلن جمعيّة نور المسيح عن صدور تقويم 2012 ميلادي وهذا التقويم مخصّص لسيّدتنا والدة الإله الدائمة البتوليّة مريم

برنامة 2012

نـــور المسيح ΧΡΙΣΤΟΥ Φ Ω Σ

عصا قوّةٍ لنا صليب إبنك يا والدة الإله ، بهِ نقهرُ إحتياطات الأعداء ووثباتهم
نحن الذين بشوقٍ لا يفتر نغبّطك .

كانون الثاني January 1 2012

الأحد Sunday	الإثنين Monday	الثلاثاء Tuesday	الأربعاء Wednesday	الخميس Thursday	الجمعة Friday	السبت Saturday
١٨ بوتيفاتيوس الشهيد ١	١٩ تقدمة عيد الميلاد القديس اغناتيوس المتوشّح بالله ٢	٢٠ يوباناي الشهيده ٣	٢١ انسطاسيا المنقذة من السم ٤	٢٢ الشهداء العشرة الذين استشهدوا في كريت ٥	٢٣ باراسون الميلاد افميئيا البارة ٦	٢٤ الميلاد المجيد ٧
٢٥ الأحد بعد الميلاد عيد حافل لوالدة الإله القديس الشهيد ٨	٢٦ استفانوس اول الشهداء البار ثاودورس ٩	٢٧ القديسون الذين احرقوا بنوفوميذيه البار مركس ١٠	٢٨ ١٤٠٠٠ طفل الذين قتلو في بيت لحم ١١	٢٩ اليصبا البارة في الشهيدات ١٢	٣٠ البارة ميلانى من رومة ١٣	٣١ ختان الرب يسوع بالجسد (باسيليوس الكبير) ١٤
١ الآب سلفستروس بابا روما تقدمة عيد الظهور الإلهي ١٥	٢ ملاخيا النبي غوردیوس الشهيد ١٦	٣ ثاركنتس الرسل السبعين ١٧	٤ باراسون الغطاس ثاوبيتوس (صوم) وثاوناس وسكابتيكي ١٨	٥ الظهور الإلهي (الغطاس) ١٩	٦ النبي يوحنا المعمدان ٢٠	٧ جاورجيوس الخوزيبي امنا نونيتكي ٢١
٨ تذكار القديسين برابكتوس والسترانتيوس ٢٢	٩ غريغوريوس النيسي بوسيفانوس البار ٢٣	١٠ تاودوسيوس رئيس الأديرة ٢٤	١١ نتيانى الشهيدة ٢٥	١٢ ارميلوس الشهيد استراتونيكوس الشهيدين ٢٦	١٣ الابرار المقتولين في طور سيناء ودرأيكو ٢٧	١٤ البار بولس الثيبي والقديس يوحنا الكرخي ٢٨
١٥ السجود لمسلمة القديس بخرس المقدسة ٢٩	١٦ القديس انطونيوس الكبير ٣٠	١٧ اثناسيوس وكيرلس بطاركة الأسكندرية ٣١	مشتهيات المرء مرآة صفاته ، فإن كانت شريفة كان شريفاً.			

✝ (غربي) ١ رأس السنة – باسيليوس الكبير ، ٦ الظهور الالهي – الغطاس ، ٢٩ الفريسي والعشار.

بواجب الإستيهال

بالقرب من عاصمة الجبل المقدّس (كاريبس) توجد قلاية على إسم رقاد والدة الإله. وكان فيها شيخ رئيس ومعه تلميذ. ذهب الرئيس للإشتراك في السهرانيات في الدير وطلب من تلميذه أن يقيم الصلوات في القلاية. عندما حلّ المساء وكان هذا التلميذ وحيداً في قلايته سمع طرقاً على الباب ، ففتح وإذ به يرى راهب لم يكن قد شاهده من قبل. طلب منه هذا الراهب الزائر أن يمضي تلك الليلة معه في القلاية. وعند تكريم العذراء، قال راهب القلاية: «يا من هي أكرم من الشيروبيم ...» إعترض الراهب الزائر وقال: يجب أن تقول: « بواجب الإستيهال حقاً تغبطُ والدة الإله الدائمة الطوبى البريئة من كل العيوب أم إلهنا ». وبعد ذلك تقول: « يا من هي أكرم من الشيروبيم». ذُهل الراهب وطلب من الزائر أن يكتب له هذا النص الإضافي. فكتبه على لوح من حجر بصورة عجيبة وغريبة ، تبيّن بعدها أن هذا الراهب الزائر هو الملاك جبرائيل الذي إختفى بعدما طلب من الراهب انّ جميع الأرثوذكسيين في العالم عليهم الترتيل بحسب هذا النص الجديد.

يا والدة الإله العذراء يا من هي لا بدئس ✻ التي هي في السموات مباركة وعلى الأرض ممجدة ✻ إفرحي يا عروسة لا عروس لها.